النسطورية قديماً وحديثاً

« دراسة مقارنة »

إعداد

الدكتور / أحمد عبد الله محمد الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، وجعله فاتحه وحبه ، ومنتهى شكره ، وكفاء نعمته . أحمده سبحانه جميع محامده على جميع آلائه ونعمه ...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : أكمل لنا دينه ، وأتم علينا نعمته ، ورضي الإسلام لنا دينا ، فقال سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ وقال جل ذكره : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ ﴾ ، ولم يرض غيره دينا فقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، وخيرته من خلقه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الراشدين المهديين ، ومن تبعهم وسلك سبيلهم إلى يوم الدين .

وبعـــــد

فإن البحث في الديانات الإنسانية التي كان لبعضها ارتباط بأصول سماوية من حيث المبادئ والعقائد التي يعتنقها أصحاب هذه الديانات أمر خطير يجعل الباحث في حرص شديد ، وتجرد تام للبحث حتى يأتي البحث معبراً تعبيراً دقيقاً وأمينا عن عقيدة القوم ومبادئهم وآرائهم دون تَقَوُّل عليهم ، أو تعصب ضدهم

وأن يستقي ذلك من خلال مصادرهم ، ومراجعهم الأساس ، مع الاستعانة ببعض ما كتب عنهم .

وموضوع دراستنا هو : [النسطورية قديماً وحديثاً " دراسة مقارنة "]، وهو موضوع هام يتناول جانباً من أهم جوانب العقيدة النصرانية ، بل هو

أهمها على الإطلاق وهو " توحيد التثليث " أو كما يسمونه " الثالوث المقدس ".

والبحث في هذا الموضوع يطلعنا على مدى المعاناة التي لقيتها الكنيسة في سبيل تقرير هذه العقيدة ، ومدى الخلاف الذي نشب بين فريق النصارى لاسيما فيما يتصل بالسيد المسيح : إلهاً ، أو إنساناً ، أو إلهاً وإنساناً معاً ، على سبيل الحلول ، أو الاتحاد ، أو الاتصال ، أو وحدة الوجود ...الخ، والذي انعقدت من أجله مجامعهم المسكونية لسنوات ، بل لقرون متطاولة ، ولا تنتهي من الخلاف إلا بتقرير الخلاف .

والنسطورية فرقة من فرق النصارى التي كان لها في هذا المجال فكر ورأي وعقيدة آمنوا بها ، واتهموا من أجلها بالهرطقة والكفر والحرمان من رحمة الرب واضطهدوا وحوربوا حتى كاد أن يقضي عليهم ، حتى قام رجل يسمى " نسطور الحكيم " في القرن التاسع الميلادي فجدد للقوم مبادئهم وعقائدهم وأحيا ما ندرس منها مع شيء من التجديد فيها .

ولما كانت الدراسات حول هذه الفرقة جد نادرة ، بل إن كثيراً من النصارى لا يعرفون عنها شيئاً ، كانت الدراسة لها جد هامة ، والبحث عنها جد ضروري للتعرف عليها ، مع الدقة والحذر ، وعرض الموضوع عرضاً أميناً ونزيهاً وكان المنهج المناسب لبحث هذا الموضوع هو : المنهج الاستردادي (التاريخي) مع العرض والتحليل والمقارنة والمناقشة القائمة على الحياد والموضوعية .

محتوى البحث :

تتمثل الدراسة التي قمت بها لهذا الموضوع في الآتي :

١ – **المقدمة** : وتتضمن أهمية الموضوع ، ومنهج الباحث ، وخطة البحث

٢ – **مدخل للدراسة والبحث** ، وفيه تحدثت عن الرسالات السماوية ، وما جاءت به من هداية للبشرية ، ومدى انحراف المنتسبين إليها عن هداية السماء، وتحريفهم لما جاء فيها ، كما وجدنا ذلك عند اليهودية

والنصرانية مما كان سببا في التفرق والاختلاف حولها .

٣ – **الفصل الأول** : وعنوانه " النسطورية القديمة " وفيه تحدثت عن نشأة النسطورية ، مبادئها ، ومعتقداتها ، وموقفها من القول بالحلول والاتحاد، ومدى تأثر " نسطور " بغيره ، وتأثيره في غيره . ثم عن المجامع المقدسة للنصارى التي تم فيها مناقشة آراء " نسطور " والحكم عليه ، ثم عن نهاية حياته .

٤ – **الفصل الثاني** : وعنوانه " النسطورية الحديثة " .. وفيه تحدثت عن " نسطور الحكيم " مؤسس النسطورية الحديثة ، وأهم مبادئه ومعتقداته ، ومناقشة هذه المبادئ ... ثم عقدت مقارنه هامة بين النسطورية قديماً وحديثاً .

٥ – **الخاتمة** : وفيها تحدثت عن أهم النتائج التي انتهيت إليها .

والله أسأل أن يجعل مسعانا إلى الخير ، ومرجعنا إلى الحق ، ومنتهانا إلى مغفرة منه ورضوان .

وبالله التوفيق

المؤلف

مدخل

جرت سنة الله في بني البشر ، أن يبعث لكل أمة رسولا منهم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (١) وكان هذا الرسول يجيء بلسان القوم الذين بعث فيهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢)

من هنا تعدد المرسلون حتى تكون الأعذار منقطعة قال تعالى: **﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾** (٣) .

بيد أن الأمم المختلفة قد كثر فيهم تعدد المرسلين ، حتى يستخلصوا من هذه النفوس أمراضها ، ويعيدوها إلى الالتزام بما جاء من الله تعالى ، لكنهم لم يستجيبوا ، وإنما سارعوا لتكذيبهم ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٤) .

وقد بعث الله في بني إسرائيل نبيه الكليم موسى بن عمران ، فجاءهم بما شرعه الله لهم من توحيده ، وإخلاص العبادة له ، بجانب التزام القيم والأخلاق التي أمره الله تعالى إبلاغهم إياها ، والأخذ بأيديهم لممارستها لكنهم آذوه أول الأمر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ

---

(1) سورة فاطر الآية ٢٤ .
(2) سورة إبراهيم الآية ٤ .
(3) سورة النساء الآية ١٦٥ .
(4) سورة المؤمنون الآية ٤٤ .

قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١)

ولما تبدلت الأحوال انكشف الأمر عن فريقين :

أحدهما : فريق المؤمنين الذين بيَّن الله موقفهم من تهديد فرعون لهم في **قوله تعالى** : ﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٢) .

ثانيهما : فريق المكذبين ومنهم الذين اتخذوا العجل معبوداً لهم من دون الله مع أنهم كانوا قد عاهدوا الله ألا يكفروا قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَآ آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

لما انتهت حياة نبي الله موسى بن عمران تنامت أعداد المكذبين ، وتوارت ملامح المؤمنين ، حتى باتت الأمة الإسرائيلية على شفا جرف هار فلا التوراة سلمت من عبثهم ، ولا التعاليم الإلهية ، والتكاليف العملية والقيم الخلقية السليمة نجت من تحريفهم ، إنما كانوا يحرفون المصدر أيضاً قال تعالى : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ

---

(1) سورة الصف الآية ٥ .

(2) سورة طه الآيتان ٧٢ ، ٧٣

(3) سورة البقرة الآية ٩٣ .

وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [١] بل حرفوا التعاليم أيضاً ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [٢] .

لكن هؤلاء المكذبين أغرقوا في الكفر والضلال ، فأرسل الله نبيه عيسى ابن مريم إليهم حتى يصلح ما فيهم من فساد ، ويردهم إلى الصواب ، ويعيدهم مرة ثانية لما فيه صلاحهم الدنيوي بجانب سعادتهم الأخروية .

ويؤكد لهم أنه جاءهم وحدهم مبيناً أنه رسول الله إليهم ، وأنه مصدق لما بين يديه من التوراة وفي نفس الوقت يبشر بالرسول الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٣] .

ويقرر في ذات الوقت نسخ بعض ما يتعلق بالطعام الذي حرّمه الله عليهم في رسالة موسى الكليم من قبل ، قال تعالى: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ

---

(1) سورة النساء الآية ٤٦ .
(2) سورة المائدة الآية ٤١ .
(3) سورة الصف الآية ٦ .

اللّهَ وَأَطِيعُونِ*إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[١].

كان المفترض أنهم يصدقونه ، ويلتزمون ما جاءهم به من عند الله لكنهم حاربوه كما توجهوا بالشرور إليه رافعين رايات الكفر التي جاء التعبير عنها من خلال ألفاظهم بجانب ممارستهم مما جعل عيسى بن مريم يسعى لتمييز المؤمنين بالله تعالى مبعداً الملحدين ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [٢]

انقضت حياة نبي الله عيسى من بينهم ، فانطلق القوم في أثره – وقد تفرقوا أيدي سبأ – يتبنون أفكار لا تمت إلى رسالته بصلة ، ولا مانع لديهم من تبني أفكار ذات طبيعة كفرية وثنية يلصقونها بالدين الذي جاءهم به ، ومن هنا بدأت عملياتهم في تحريف متعمد للإنجيل كله[٣]حتى لم يعد له أي وجود في حياتهم .

إن الإنجيل الواحد المنزل على نبي الله عيسى حلت محله بشارات قانونية أربعة أطلق علي كل واحد منها اسم الذي ألفه [٤] بجانب جملة

---

(1) سورة آل عمران الآيتان ٥٠ ، ٥١ .

(2) سورة آل عمران ٥٢ ، ٥٣ .

(3) التحريف قسمان :

الأول : التحريف اللفظي وهو أنواع ثلاثة : أ – تحريف بالزيادة ، ب – تحريف بالنقصان ، ج – تحريف بالتبديل .

الثاني : التحريف المعنوي وهو ثلاثة أنواع : أ- تحريف بالزيادة ، ب- = تحريف بالنقصان ، ج – تحريف بالتبديل ، والتحريف الذي زاولوه مع الإنجيل كان التبديل الكامل حتى لم يبق من الحق فيه شيء . راجع الشيخ / رحمت الله الهندي . إظهار الحق جـ ٢ الباب الثاني ص ٤٢٧ – ٤٦٣ ، ٥١٣ حيث ذكر فيها التحريف وما يتعلق به وصوره ، تحقيق د / محمد ملكاوي ، ط : الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء السعودية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

(4) منها إنجيل متى ، إنجيل لوقا ، إنجيل مرقس ، إنجيل يوحنا . يقول جورج فورد : كتب متى قصة البشرى لبني قومه من اليهود ، أما مرقس فقد روى قصة البشرى عندما كان في روما وهو موجه للمسيحيين الذين جاؤوا من خلفية رومانية ، وروى لوقا البشرى للمسيحيين الذين جاؤوا من خلفية يونانية ، أما يوحنا فقد كتب البشري بعد انتشار = =المسيحية ولذلك

من الرسائل التي افتراها أو وضعها بولس – شاؤل – ولوقا كاتب الإنجيل المشهور وأطلق على هذا كله اسم العهد الجديد .

كالشأن مع كل المعارف التي تأتي من افتراءات البشر التي يأتيها القصور من كل ناحية ، وتحتاج إلى التعديل المستمر ، جاءت تلك الأفكار ، ومن ثم انقسم الناس حولها بين منكر لها أو مؤيد ، بين راغب في التعديل المستمر أو التكذيب المتواصل ، لكل المحاولات الإصلاحية التي يراد بها ترميم الجدار الذي يوشك أن ينهار .

مضت فترات زمنيه بين رفع الله نبيه عيسى عنهم ، وصياغة هذه الأفكار التي احتاجت شروحاً مطولة اعتبرت لدى البعض مقدسة لا يجوز الاقتراب منها ، من ناحية التناول أو التداول ، ومن هنا زعم النصارى قدسيتها ، مع أنها أفكار بشرية افتراها البعض متعمدين إفساد رسالة عيسى عليه السلام .

يقول كتاب سيرة المسيح : لم يكتب السيد المسيح إنجيلا ، ولم يطلب من تلاميذه أن يكتبوه ، فوحي المسيحية ليس في الدرجة الأولى وحي كتاب ينزل حروفاً وكلمات ، بل وحي شخص حي هو المسيح نفسه[١] .

وإذا كان المسيح عليه السلام لم يكتبها ولم يملها على تلاميذه ، كما لم يطلب إليهم أن يكتبوها فقد أبان أن الذين كتبوا هذه الأناجيل قد عبروا عن وجهة نظرهم فيما يتعلق بأخبار حياة المسيح عليه السلام [٢] ، وقد أقر

اعتبرها النصارى موجهة إلى الكنائس في شتى أقاليم العالم . القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ص ١٦ ، ط : كنيسة قصر الدوبارة ، ط : دار الجيل للطباعة – الأولى ١٩٨٣ م .

(1) كنيسة قصر الدوبارة . سيرة المسيح ص ١٥ ، ط : أولى ١٩٨٣ م .

(2) مادامت وجهة نظر أصحابها هي التي نقلت في الروايات الأربعة المشهورة باسم الأناجيل القانونية فقد صار من=

الدكتور جورج فورد أن قادة المسيحية شعروا بضرورة تدوين أخبار حياة المسيح لتبقى مرجعاً وثيقاً للجماعات المسيحية [١] .

ويكرر لوبون ذات الفكرة في قوله إن الإنجيل العيسوي انقضى أمره بعد المسيح مباشرة ، ولم يعد له وجود لأنه لم يكتب ولم يدون ، إنما الذي كتب ودون هو جملة الأقوال التي عرفت باسم الأناجيل المتباينة إلى حد كبير ، وقد صنعها خيال مؤلفيها بعد عيسى بزمن طويل، مما جعل الكثيرين يترددون في قبولها أو ينكرونها أو يسعون لتغيير ما جاء بها [٢]

ثم إن نبي الله عيسى ابن مريم قد جاء برسالة خاصة لبني إسرائيل وحدهم ، في زمن بعينه [٣] غير أنهم بعده زعموا عالميتها ، مع امتدادها المكاني واستمرارها الزماني ، فخرجوا بها عن أهدافها ، وبناء عليه حاولوا صياغة أناجيلهم لتكون نصوصها مؤكدة هذه المزاعم، وأنى لهم بلوغ تلك الغاية .

لقد ظنوا ضرورة الوصول إليها عن طريق مؤتمرات يقيمونها ، ومجامع يتداولون الآراء فيها ، بحيث إذا انتهوا إلى نتائج زعموها مقدسة، ولكنهم لم يصلوا لتلك الغاية ، وإنما تحقق خلاف ما هدفوا ، يقول ابن تيمية : " لم يختلف أهل دين من الأديان في معبودهم ، ولا

=المؤكد القول بأن البعض قبلها ، والبعض الآخر رفضها أو تردد في قبولها على أكثر تقدير .

(1) الدكتور / جورج فورد . القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ص ١٥ ، ومن ثم فليس بغريب أن تقرر تلك الحقيقة وهي أن كافة الأناجيل المسيحية إنما تعبر عن وجهة نظر مؤلفيها ولا علاقة لها بالإنجيل الذي أنزله الله تعالى على نبيه عيسى ابن مريم عليه السلام .

(2) جوستاف لوبون . حياة الحقائق ص ٧٣ ترجمة عادل زعيتر ط : دار القلم ١٩٦٥ .

(3) هذا التحديد الزمني دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ الصف : ٦ .

شكوا فيه ، ولا تفرقوا حول القول فيما اختاروه كما حدث بالنسبة لأهل ملل النصرانية " (١) .

ولما كانت الأناجيل القانونية قد تم إقرارها عن طريق المؤتمرات المجمعية ، وقد حملت جملة العقائد التي عول الكثيرون عليها ، فإن الذين لم يقبلوها خرجوا عليها ، وطالبوا برفضها والتعديل في نصوصها وإضافة شروح لها فوقع التعارض بينها (٢) وكان ذلك بمثابة الإعلان الصريح عن ضرورة ظهور الحركات الانفصالية داخل الجماعة المسيحية ذاتها .

من الواضح أن رجال اللاهوت الرسميين (٣) والمرسومين (٤) كانوا على قدر كبير من المعرفة ، بأنهم يتعاملون مع نصوص صنعها خيال أصحابها وأنهم تعاملوا مع هذه الحقيقة على ظاهرها ، من غير اعتبار لشيء آخر ، وكانت مواقفهم هذه بمثابة الدافع الجديد الذي ساهم في امتداد الحركات الانفصالية عن الكنيسة الأولى ومنها الأريوسية والنسطورية واليعقوبية وغيرها.

إن مؤلفي الأناجيل والرسائل قد كتبوا رسائلهم وافتروا عقائدهم ، فلما تعرضوا لمسائل العقيدة الإلهية ، وحاولوا إخضاعها لتوجهاتهم

---

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية .الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ٣ ، قدم له / علي السيد صبح المدني ، ط : المدني بجدة .

(2) والدليل على المؤلفات التي سجلها زعماء الطوائف المسيحية المشهورة – وهي الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية . راجع القس إلياس مقار . إيماني وقضايا المسيحية الكبرى ص ٨٣ ، ط : كنيسة المحبة ١٩٦٩ م .

(3) الرسميون : هم الذين يتم إصدار قرارات تعيينهم من السلطة السياسية الحاكمة ذات الصبغة القانونية ، إذ كان أمر تعيين رجال الدين لا يعتبر إلا إذا صدر عنهم وما يزال هذا الأمر قائماً في بعض البلدان .

(4) المرسومين هم الذين يعلن رجال اللاهوت ترسيمهم في خدمة الكنيسة سواء أكانوا من الشمامسه أم من القسس أم من غيرهم . راجع الدكتور / رمسيس عوض ، محاكم التفتيش ، ص ٧ ، ٨ – ط : دار الهلال .

الفكرية اختلقوا العديد من المشاكل التي كانت من عوامل ظهور الحركات الجديدة ، التي أطلق عليها بعض المؤرخين مصطلح حركات الإصلاح الديني في المسيحية ، أهم الفرق في النصرانية وعوامل نشأتها التي كانت سبباً في ظهور النسطورية .

عوامل نشأة الفرق في النصرانية

هناك عوامل كثيرة أدت إلى نشأة الفرق في النصرانية ، وأهم هذه العوامل عاملان اثنان أساسان ، عنهما نشأت العوامل الأخرى . وهذا يعني أن ثمة عوامل أساسية وعوامل ثانوية أو فرعية .

أما العوامل الأساسية فاثنان – كما ذكرنا – هما :

العامل الأول : أن النصرانية دين مفترى مبتدع ، لم يكن له أصل متفق عليه عند أتباعه ، لذلك وضع فيه كل فريق من أتباعه ببعض ما نشأوا عليه ، وتأثروا به ، فكان شتاتاً من هنا وهناك ، ولم يكن هناك أصل متفق عليه فيما بينهم يصدر الجميع عنه ، ولا حقيقة متيقنة عند الجميع يرجعون إليها ، أو يقتبسون منها ، أو يهتدون بها . لذا رجع الأمر إلى مزاج كل من أتباع هذا الدين ، وخياله وأوهامه . من هنا جاءت النصرانية خليطاً من الأوهام المريضة ، والخيالات الغريبة العجيبة ، التي ترفض من حيث الواقع فقط ، بل لو زعم إنسان أنه رآها في المنام لكان ذلك دليلا على سوء في مزاجه ، وخلل في فطرته ، وانحراف في جبلته ، فإن مثل هذه الأوهام ينبغي أن يتنزه عنها الإنسان السويّ حتى في رؤاه المنامية ، فضلاً عن أن يدَّعي أنها حقائق واقعية .

العامل الثاني : أن الذين وضعوا النصرانية – ومنهم شاءول اليهودي الذي تولى كبره منهم – كانوا جميعا يُصْدِرون عن ثقافات قديمة، وفلسفات وثنية متعددة ، وكانت لهم أديان يدينون بها ، ونحل ينتحلونها ، وليس من شك في أن جميع هذه الفلسفات والثقافات ، وعامة هذه الأديان والنحل إنما هي خرافات وأوهام ضالة فاسدة ، لكنها – رغم ذلك – كانت هي صاحبة السلطان عليهم ، والتأثير فيهم ، وكانت تحركهم من الداخل شعروا بذلك أو لم يشعروا .

وكان المثل الواضح في هذا هو المؤسس للنصرانية " شاءول اليهودي " الذي أسمى نفسه " بولس " حيث وضع في نصرانيته شتاتاً من العقائد والديانات التي كانت منتشرة في ذلكم الزمان ، وقد حَرَص على ذلك حتى يجتذب إلى ديانته الجديدة أناساً من أتباع هذه الديانات حيث يجدوا في هذه الديانة الجديدة من عقائدهم ما يرغبهم في اتباعها ، فوضع فيها من المجوسية ومن المتراسية ، ومن وثنيات الرومان ، إلى آخر هذه الديانات المنتشرة في ذلكم الزمان .

والذي يهمنا هنا أن أتباع هذه النصرانية الذين أسسوها أو تابعوا المؤسسين كانوا ذوي مشارب شتى دينية وثقافية وفلسفية . من هنا لم يكن غريباً أن يتفرقوا فرقا شتى ، ويتحزبوا أحزابا متفرقة ، بل إن الغريب حقاً ألا يكونوا كذلك ، ألاّ يتفرقوا ويتحزبوا وهم شتات لا تجمعهم جامعة ، ولا يوجد بينهم أصل مشترك لا في دين ولا ثقافة ، ولا فلسفة ، بل ولا جنس .

هذه العوامل الأساسية التي أوجزناها في عاملين أساسيين . تمثلا في:

١ – أن النصرانية جاءت عن غير أصل ثابت ، أو حقيقة سابقة متيقنة

وأنها افتراء كامل ، وابتداع شامل لكل ما فيها.

٢ – ثم إن الذين جاءوا بها شتات من الناس ، وفئام من الأجناس . أسس لها يهودي نزع عن يهوديته ، وارتدّ عن دينه ، ورغب في أن يقضي على رسالة المسيح عليه السلام الحقة ، فلما فشل طمع في أن ينشئ هو دينا ينسب إليه ويكون هو كبيره ومؤسسه ، فجاء بتلك العقائد الفاسدة التي قامت عليها النصرانية ، والتي لا يقبلها عقل عاقل ، بل يبرأ منها الأغبياء والحمقى. ولما رأى أن دعوة المسيح عليه السلام انتشرت ، نسب جميع ما جاء به من افتراءات باطلة إلى المسيح رغبة في أن يعتنقها من أحبوا المسيح واعتنقوا دعوته. هذا كان شاءول اليهودي.

ثم تابعه على دعوته الباطلة فئام من الناس ، وأغتام من العوام والغوغاء صدروا عن عقائد متباينة وثقافات متدابرة ، وفلسفات مختلفة . حيث كان ذلك الشيطان اليهودي قد وضع في ديانته المسخ الباطلة عقائد من ديانات شتى جذبت إليها كثيرا من الأتباع المنتسبين إلى تلك الديانات. ولما جاء هؤلاء وتابعوه ، بدأت منذ البوادر الأولى خلافات كثيرة بين هؤلاء الأتباع . وكانت الخلافات تصل من النصرانية حتى النخاع ، وتتناول حتى الجذور ، ومن ثم رأينا فيها من يدعو إلى وحدانية لكنها مشوهة ممسوخة ، ومن يدعو إلى اثنينية مشوهة وإنها لكذلك ، ومن يدعو إلى تثليث قد يوافق ما جاء به المؤسس اليهودي شاءول وقد يختلف عنه .

نقول : هذان كانا العاملين الأساسيين أو الرئيسين . أما عن العوامل

الفرعية التي نشأت عن هذين العاملين ؛ فقد جاءت من خلال المجامع النصرانية ، والمجامع نفسها كانت علامة من علامات الاختلافات الجذرية التي دلت على أن الأتباع لا ينتمون إلى ثقافة واحدة ، ولا دين مشترك ، ولا فلسفات متماثلة بل ولا متشابهة . فهم بدأوا من رأس مثلث متساوي الساقين ، ثم أغذُّوا السير ، وكلما طال بهم المسير اتسعت بينهم الفجوة ، وازداد الاختلاف . حتى إن الباحث ليجد في النصرانية أنواعاً من الفرق لا تكاد تحصى .

لكن هذه الفرق يقلل من ذكرها ، ويخفي آثارها أنها نوعان :

النوع الأول : فرق كبيرة ، وشأنها خطير ، وهي التي تستأثر بكل الاهتمام ، وهذه تتمثل في الكاثوليكية ، والأرثوذكسية ، وثالثتهما البروتستانتية التي تسميِّ نفسها الإنجيلية . وهذه الثلاثة هي صاحبة الذكر ، وذات التأثير والخطر .

النوع الثاني : فرق صغيرة الأثر ، ضعيفة الخطر ، حقيرة الشأن ، وهي كثيرة لا تكاد تحصى – كما ذكرنا – وهذه تختفي تحت ستار الإهمال المتعمد من النصارى حتى لا يظهر وجودها ، حتى لا يبين أثرها ، وذلك كفرقة " الأدفنتست " من ثم يخيل للناظر من بعيد أن النصرانية ليس فيها إلا ثلاثة فرق والحق نقيض ذلك تماماً .

قلنا إن العوامل الفرعية بدأت في المجامع ، واشتهرت من خلال تلك المجامع ، وقلنا إن المجامع نفسها كانت أثراً من آثار ذلك الاختلاف

الجذري في الثقافات والخلفيات لدى الأتباع .

أما كيف ذلك : فإن الأتباع كانوا يختلفون اختلافات كثيرة ، وخطيرة ، وكلما اشتد الاختلاف واتسع بين الأتباع .

الفصل الأول

النسطورية القديمة

لا يجد المرء الحديث عن النسطورية سوى المصادر التي كتبها النسطوريون بوجه خاص ، والمسيحيون بوجه عام ، أما لماذا ؟ فلأنهم الذين يعنيهم الحديث عن زعمائهم ومفكريهم ، وهم في ذات الوقت أكثر حرصاً على بث مفرداتهم من خلال مصادر موثقة ، إذ لا يعقل أن يقع التهاون منهم في مثل هذه المسائل ذات الطبيعة الهامة [١] .

ومن ثم فالحديث عن النسطورية القديمة يستلزم تناول الجزئيات التالية :

أولاً : إلى من تنسب النسطورية ؟

يذكر مؤرخو المسيحية أن هذه الطائفة تنسب قديماً إلى رجل يدعى نسطوريوس حيث أقامها وبين دوافعه لها ، كما أكد الأفكار التي صارت فيما بعد هي المبادئ العامة ، والقواعد الثابتة للنسطورية القديمة ، فمن هو نسطوريوس ؟ .

أ – اسمه ونسبه :

---

(1) ليس معنى هذا الطعن فيما كتبه غيرهم في المسألة ، وإنما المراد التأكيد على بيان حرص هؤلاء ودقتهم المفروضة أثناء الحديث عن زعمائهم ومفكريهم .

يقرر صاحب المنجد أن نسطور ولد ٣٨٠ م وعاش إلى ٤٥١ م في مدينة قيصرية بالقطر السوري [١] ، وبالتالي يكون قد قضى جزءاً من نهاية القرن الرابع واستغرق النصف الأول من القرن الخامس الميلادي ، وهو غير نسطور ملك بيلوس وبطل حرب طروادة ، كما أنه غير نسطور الحكيم الذي نبه إليه بعض الكتاب من أهل المقالات كما سيأتي فيما بعد – بقوله تعالى –.

ويذكر الدكتور ملاك إبراهيم يوسف أن نسطوريوس هو واحد من الجيل الذي عمل أهله في خدمة المسيحية ، وكان في الماضي " من أشهر تلامذتها المخلصين " [٢] ، ويبدو أن هذه التسمية لا تقع فيها منازعة بين هؤلاء الكتاب من المسيحيين ، ومن ثم أراها مقبولة من تلك الناحية .

ب – مولده :

يقرر القس أمير نصر أن نسطوريوس ولد في ضاحية من ضواحي " مدينة مرعش السورية في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي ، من أبوين سوريين أو فارسيين " [٣] .

ويرى أسد رستم أن نسطوريوس هذا كان له ابن عم يعمل مؤرخاً ، يدعى ثيوديروس أسقف كورش التي كان يطلق عليها اسم

---

(1) المنجد في اللغة والأعلام جـ ٢٢ ص ٥٧٣ ط : دار الشروق – بيروت – لبنان.

(2) الدكتور ملاك إبراهيم يوسف . دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي الجزء الأول ص ٢٨٦ ، ط : الكنيسة القبطية ، ط : الثانية تحت عنوان دراسات تاريخية قبطية – إبريل ٢٠٠٠ م .

(3) القس أمير نصر .الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٨ ، ط : أبناء شنودة نيس المتوحدين بمطبعة الاتحاد ٢٠٠٤ م ، مراجعة وتقديم كل من الأنبا / موسى الأسقف العام والأنبا رافائي الأسقف العام .

كنيسة مدينة الله " [١]

ويتفق معه على تاريخ الميلاد القس الدكتور / ملاك إبراهيم حيث يذكر نفس ما ذكره سابقه [٢] والاختلاف حول أبويه – سوريين ، أو فارسين – يثير نوعا من الشك لدى أي باحث يريد الوقوف على الأصول النسبية أو القومية بالنسبة لنسطوريوس هذا [٣] .

ويعتقد هيبا صاحب رواية عزازيل أن نسطور المبجل هذا قد ولد ونشأ في أورشليم ، وأنه كان ضمن مجموعة آباء اللاهوت الذين كانوا يلقون العظات في ذات المنطقة من أرض فلسطين [٤] .

وبعيدا عن وجهة نظر هيبا فإن الذي نؤكد عليه هو وجود شخص نسطور الراهب بغض النظر عن الخلاف القائم بالنسبة لمكان مولده .

ج– نشأته وثقافته :

يذكر مؤرخو المسيحية أنه نشأ بين أبويه ، وأنه درس اليونانية ، ومبادئ العلوم في مرعش السورية التي ولد بها ، وأن أسرته كانت تعده ليكون واحدا من الرهبان المرسومين إذ كانت الأسرة تطمع في أن يشغل هذا الوليد كرسي البابوية عندما تمتد به الأيام .

يقرر أمير نصر أن نسطوريوس درس اليونانية وأتقنها ، كما درس مبادئ العلوم التي تخدم المسيحية ، وتؤهل الفرد ليكون في

---

(1) القس أسد رستم . كنيسة مدينة الله العظمى ص ٧ ، ط : دار الاتحاد ٢٠٠٢ م .

(2) راجع الدكتور / ملاك إبراهيم يوسف . دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي الجزء الأول ص ٢٨٦ .

(3) وأرى أن الخلاف حول الأصول القومية لا يمثل أهمية كبيرة .... فالغرض الأساسي الإحاطة بفكر نسطور !!

(4) راجع رواية عزازيل ترجمة يوسف زيدان ص ١٥ ، ط : العاشرة – دار الشروق ٢٠٠٩ م

المستقبل قادراً على الالتحاق بأحد الأديرة ذات النظام الكنسي [١] .

لم يكن الغرض من دراسته اليونانية مجرد الإلمام باللغة ، وإنما كانت الغاية الاستفادة من الثقافة اليونانية ، وبخاصة أن أغلب الأناجيل كانت قد كتبت بتلك اللغة ، ومن ثم فالمتقن لليونانية يكون قادراً على فهم الأناجيل عندما يطالعها باللغة التي كتبت بها ، وكان ذلك من " التقاليد الثقافية التي نشأ فيها نسطور ، والوسط الذي عاش فيه ومنه أخذ ثقافته" [٢].

من الواضح أن نسطوريوس هذا [٣] قد أعد إعداداً جيدا ليكون شخصاً ذا أهمية فيما بعد ، ولم يكن هؤلاء يعلمون ما يخبئه الغيب بالنسبة لهم عندما يتمكن نسطوريوس من مراجعة أفكاره ، حين يملك القدرة على مغايرة الاتجاه العام للكنيسة ويقف الكثيرون منه موقفا مخالفا حتى يوصف بأنه أحد الهراطقة [٤].

أما ثقافته فقد كانت في بدء أمرها ثقافة متواضعة ، تقوم على ما تلقاه من أسرته داخل تلك البيئة ، بجانب ما تلقاه عن طريق ابن عمه أسقف كورش المؤرخ ثيودوريطس بجانب ما كان يسمعه عند زيارته للكنيسة في جلسات الوعظ التي يهتم بها العاملون في هذا المجال ، بما

---

(1) القس أمير نصر .الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٨ ، وراجع الدكتور ملاك إبراهيم يوسف . دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي ص ٢٨٦ .

(2) الأنبا غريغوريوس . موسوعة الأنبا غريغوريوس اللاهوت المقارن ص ١٨٠ الجزء الأول ، مطبعة شركة الطباعة المصرية بالعبور سنة ٢٠٠٣ .

(3) الإشارة بهذا إلى نسطوريوس القديم حتى يكون اسم الإشارة هذا فاصلاً بينه وبين الذي نسبت إليه النسطورية الحديثة .

(4) لفظة الهراطقة تطلق في المسيحية على من جادل في الدين ، بغرض إصلاح ما يراه= =حتى وإن كان معه على صحة رأيه ألف دليل . راجع الدكتور محسن محمد خليل . الهرطقة والهراطقة في المسيحية المفهوم والدلالة ، ص ٣٧ ، ط : دار الفؤاد بالقاهرة ١٩٨٣ م .

يرون إفادته بالنسبة لمن سيعينون في المستقبل ، للقيام بهذه الخدمات الرعويه [١] .

ولما بلغ نسطوريوس السن الذي يسمح له بالانفصال عن أسرته لتلقي العلوم الكنسية غادر مرعش إلى أنطاكية ، حيث التحق بأحد الأديرة وفيه تلقى تعليما جديدا على يد جملة من الأساتذة اللاهوتيين ، الذين يقومون على ممارسة أدوار تتسم بالحديث عن العقائد الدينية المسيحية البعيدة تماما عن ميدان النقد العلمي ، وكان " نسطوريوس في بدء حياته داخل هذا الدير يتلقى التعاليم مع تلاميذ كثيرين على يد الراعي تيودور الطرسوسي " [٢].

استطاع هذا الراعي أن يبث في وجدان نسطوريوس الكثير من الآراء ذات الجرأة العلمية ، ويبدو أنه قد أعجب بشخصية هذا الراعي ومن ثم أعجب فيما بعد بطبيعة ثقافته حتى إنه اشتغل بالآراء النقدية أكثر من الآراء اللاهوتيه ، يذكر ملاك إبراهيم هذه المسألة: "أن نسطوريوس كانت له معرفة ضئيلة جدا باللاهوت واللاهوتيين القدماء"[٣] ، وهذا مما سيظهر آثاره بالنسبة لخصومه عندما يتناولون آراءه بالنقد ، والحكم عليه فيما بعد بالهرطقة .

يقرر الأنبا غريغوريوس أن نسطوريوس أثناء ترهبه في الدير المشهور استطاع أن يبرز فصاحته بجانب زهده ، ولم يعلن أبدا عن

---

(1) ما تزال هذه السلوكيات تمارس داخل الكنائس الكبيرة في الشرق والغرب على السواء ، بل ويشترك في القيام بها جميع الطوائف المسيحية من كاثوليك وأرثوذوكس وبروتستانت.

(2) ويصف ول ديورانت هذا الرجل بأنه كان يبتدع النقد الأعلى للكتاب المقدس ، وكان يقول: إن سفر أيوب ما هو إلا قصيدة مأخوذة بتعديل من مصادر وثنية ، وأن نشيد الإنشاد ما هو إلا إحدى أغاني الفرس ذات معنى شهواني صريح ديورانت . قصة الحضارة – المجلد الثالث ص ١٠٠ .

(3) يقصد باللاهوتيين القدماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس ومنهم القديسة مريم العذراء .

آرائه الخاصة ، وإنما كان يخفيها بين جوانحه ، ولم يكن لديه مانع من إبراز غيرها، لأنه في الأصل اقتنع بآراء ثيودورس حتى صار من المعتنقين لنظرياته الدينية التي تتسم بالنظرة العقلية والمنطقية في دراسة العقائد الدينية [١].

من البين أن ثقافة نسطوريوس كانت تتسم بالغموض عندما يريد التعبير عنها ، بدليل أنه في فترة عمله شماسا [٢] كان يظهر غيرة في الدفاع عن الإيمان المسيحي ضد المبتدعين ، يقول الدكتور / ملاك إبراهيم : " اختبر نسطوريوس في كاتدرائية أنطاكية شماسا فقسيسا ثم صار أسقفا على القسطنطينية سنة ٤٢٨ م ، وكان قبل رسامته قسيسا أظهر غيرة في الدفاع عن الإيمان ضد المبتدعين وبخاصة الأريوسيين"[٣].

يبدو أن التركيبة النفسية لنسطوريوس كانت ذات اتجاهات متباينة أو بعبارة أخرى احتبست بداخله ملامح الانفصام الشخصي ، من حيث إن المبادئ التي تلقاها أولاً لا تسمح بنقد الكتاب المقدس ، بينما التي تلقاها وأعجب بها في الدير علمته ممارسة النقد الأعلى للكتاب المقدس ، فهو واقع بين حجري الرحى أيرضى وجدانه ، ولا يتناول الكتاب المقدس بالنقد ، وحينئذ يضغط على عقله ، أم ينتقد الكتاب المقدس ،

---

(1) موسوعة الأنبا غريغوريوس – المفارن ص ١٨٠ .

(2) الشماس وظيفة دينية داخل الكنيسة تكون مهمة صاحبها تفقد الغائبين من أفراد الكنيسة بجانب قبول العشور وفوق ذلك فإنه يتولى النظام الإداري مع القس الذي يشرف على ذات الكنيسة بوجه عام ويجند لهذه الوظيفة ، والشماس : كل فرد من أفراد المسيحية تهبه أسرته للخدمة الرعوية فإذا أثبت نضجا وتقدما أمكن ترقيته إلى وظيفة قس ، ثم إلى ما بعدها إذا كان النظام الإداري لدى تلك الطائفة يسمح به .

(3) الدكتور / ملاك إبراهيم يوسف . دور وعلاقات الكنيسة القبطية ص ٢٨٦.

وحينئذ يمارس ضغطا على وجدانه [١] .

لقد أكد الدكتور / عزيز سوريال على أن نسطور كان يملك مواهب متعددة منها أنه اشتهر بمقدرته الكبيرة في الوعظ مع صوته الجميل في ترتيل القداس الإلهي ، وكان يقوم بأعماله كلها بحماس منقطع النظير [٢]

وإذا كان نسطوريس يملك هذه المواهب كلها فقد كان زملاؤه ينتظرون منه أن يكون رجل دين يقلد الآباء ، ولا يخرج عليهم ، ومن هنا كانوا يشجعونه على القيام بأعبائه الدينية على النحو الذي جعل الكثيرين يتوسمون فيه الإصلاح ، بل ويتوقعون له التقدم المتواصل في العمل الرعوي ، يقول القس أمير نصر لقد اشتهر نسطوريوس بعظاته القوية وفصاحته وبلاغته ، وكان الكل ينظر إليه نظرة إجلال وتقدير ، وعلى ما يبدو فقد كان يُخفي بداخله شيئا آخر استمر معه حتى بعد أن رسم كاهنا ، بل وصار رئيساً للدير الذي ترهب فيه [٣] .

ويقرر ول ديورانت أن نسطوريوس في بدء حياته استطاع الاستفادة من تيودور وستبائي ٣٥٠ – ٤٢٨ م الذي كاد أن يبتدع النقد الأعلى للكتاب المقدس بل قال إن سفر أيوب ما هو إلا قصيدة مأخودة بتعديل من مصادر وثنية وأن نشيد الإنشاد إن هو إلا إحدى أغاني الفرس

---

(1) وهذا مما يعبر عنه باسم الانفصام الشخصي من حيث إن الشخص الواحد تتنازعه شخصيتان في وقت واحد كل منهما تريد أن تبرز على الأخرى وأن تكون لها الصدارة .

(2) الدكتور / عزيز سوريال عطية . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ ، ترجمة ميخائيل اسكندر ، ط : مطبعة المحبة بالقاهرة سنة ٢٠٠٥ م .

(3) القس أمير نصر . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٨ .

ذات معنى شهواني صريح [١] .

أخلص مما سبق إلى أن نسطوريوس كان لديه استعداد لاستعمال عقله المعرفي ومن خلاله يتناول القضايا الدينية في المسيحية ، وهذا ما سوف يظهر عند تناولنا لآرائه ولمعتقداته الدينية .

د-وظائفه :

شغل نسطوريوس وظائف إدارية ، وأخرى دينية ، وتقلب بين هذه وتلك حتى اختير بطريركا لكنيسة القسطنطينية حتى تمت سيامته في إبريل سنة ٤٢٨ م ويبدو أن الوظائف الإدارية قد ابتدأت لديه بالعمل شماسا ، ثم تحولت إلى ناحية إدارية ودينية عندما رسم كاهنا يقود الدير بكل ما فيه ويتعلق به من النواحي الإدارية والمالية والرعوية الدينية بجانب الوظائف الاجتماعية [٢] .

من الواضح أن نسطوريوس عندما تولى هذه الوظائف إنما كان يسعى لتحقيق رغبة كامنة في صدره ، ربما الانتقال بالمسيحية من دور التقليد الأعمى إلى دور التفكير العلمي ظناً منه أن ذلك يدعم موقفها على الأقل في مواجهة الحركات الانفصالية عن الكنيسة الأم ، التي تتخذ من إصلاح الدين وسيلة للخروج عليها ، ولكن هذه الأحلام التي طاردته أطيافها لم تزد عن كونها شيئا يمكن حسبانه أضغاث أحلام [٣] .

استطاع نسطور أن يجذب نظر الإمبراطور تيودوسيوس الثاني

---

(1) ول ديورانت . قصة الحضارة ص ٢ ، ط : دار الفكر .

(2) راجع الدكتور / جلال يوسف . دور وعلاقات الكنيسة ص ٢٨٦ ، والقس أمير نصر . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٨ ، والدكتور / عزيز سوريال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ .

(3) لأن حركات الإصلاح التي تمت في المسيحية كانت آمال أصحابها تحقيق هذا الحلم على أرض الواقع ولكن ضاعت الأريوسة بأحلامها وأسرعت النسطورية لاهثة خلف سرابات أمانيها ولم يقدر لشيء منها النجاح أو إحداث التغيير المنشود .

الذي أعجب به أيما إعجاب ، فلما خلى كرسي البابوية في القسطنطينية سارع هذا الإمبراطور لتعين نسطوريوس في ذات المنصب ، فصار يشغل وظيفة بطريرك القسطنطينية وما يتبعها (١) .

وفي تقديري أن الوظائف التي شغلها نسطوريوس قد أعانته على أن يظهر للرأي العام المسيحي في صورة الواعظ الجيد ، والإداري الناجح ورجل الكنيسة المتمكن ، وقد هيأ له ذلك كله أن يطفو على سطح الأحداث فيما بعد ، وأن يعبر عن آرائه في شيء من الجرأة ، بدليل أنه عندما شغل وظيفة بطريرك قام بحملة كبيرة على الهراطقة مما أثار عداوتهم عليه ، وأيقظ رغبتهم في النيل منه ، حتى دفعوا قسيسه المحبب إليه أناستاسيوس إلى أن يندد في مواعظه بتلقيب مريم العذراء بوالدة الإله (٢) .

ولم يكن هذا اللقب جديدا في الكنيسة ، وبالتالي فكان اعتراض هذا القس عليه بمثابة إعلان الحرب على نسطوريوس نظرا لاحتماء القس أناستاسيوس به ودفاع نسطوريوس عنه (٣) .

ثانياً : مبادئه ومعتقداته :

لما تربع نسطور على كرسي القسطنطينية بطريركا تصور أن الدنيا قد صارت ملك يمينه ، وأنه يملك أن يفعل ما يشاء فيها ، وكيف لا وهو المتحدث اللبق ، وفي نفس الوقت الواعظ الواعي الذي يملك أزمة القلوب

---

(1) راجع الدكتور / عزيز سوريال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ ، والقس أمير نصر . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٩ ، والدكتور / جلال إبراهيم . دور وعلاقات الكنيسة القبطية ص ٢٨٧ .

(2) يقرر الأنبا غريغوريوس أن مريم العذراء تترجم بوالدة الإله أحيانا ، وأحيانا أخرى بأم الإله ، والترجمة بوالدة الإله أدق وأصح ، لأن الكلمة- -اليونانية تعني حرفيا التي ولدت الله ، وهو الفرق بينهما . اللاهوت المقارن ص ١٨٠ .

(3) راجع الدكتور / عزيز سوريال . المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ حيث يقول : وقد بدأت المشاكل بالحديث عن لاهوت المسيح التي أتعبت أهل القرن الخامس عندما حضر كاهن يدعى اثناسيوس كان نسطور قد أتى به معه من أنطاكيا وفي إحدى عظاته وصف العذراء مريم بأنها والدة الإله وليست أم الإله .

إن هو شاء ، وهو فوق هذا وذاك مرتبط بإمبراطور البلاد ارتباطا قويا ، والمعروف أن السلطة السياسية إذا دعمت رأيا أو شخصا كان من الصعب النيل منه ، حتى تفرغ تلك السلطة يديها عن حمايته ، أو تقوم ثورة جماهيرية تنال من السلطة وتابعها معا [١] .

من هنا أبدى نسطور دفاعا قويا عن صديقه أناستاسيوس ، وأكد على أن علاقات يسوع الإنسان المولود من مريم مع كلمة الله الساكن فيه تحتاج العديد من الدراسات كما تحتمل الأكثر من الوجوه والآراء ، ومن هنا " انزعج الروم وتناقشوا معه حول رأيه الفاسد الذي دافع به عن عظة صديقه ، ومن هنا بدأت المشاكل تظهر معه " [٢] .

وبناء عليه سأعرض أهم الآراء والمعتقدات التي قال بها نسطوريوس وصارت فيما بعد علامة على النسطوريين في المرحلة القديمة ، ومن أبرز هذه المبادئ والمعتقدات ما يلي :

المبدأ الأول : وجود الطبيعتين المنفصلتين في يسوع المسيح .

كان المسيحيون يعتقدون أن يسوع إله ولذلك فهو شخص واحد ، يحمل سمتين إحداهما لاهوتيه والثانية ناسوتيه ، واتحادهما معا يمثل الطبيعة الواحدة ، وكانت هذه الطبيعة الواحدة مقبولة لدى جميع المسيحيين ، بل هي عقيدتهم الدينية ، " وكانت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية تركز في لاهوت السيد المسيح ، وتؤكد حقيقة الاتحاد بين

---

(1) وكان الإمام أبو حامد الغزالي من أكثر الناس تنبيها لهذه المسألة وقد عرضها عرضا رائعا في كتبه العديدة وخاصة التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، وكتابه سر العالمين وسعادة ما في الدارين وقد طبع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، وكذلك كتابه فضائح الباطنية .

(2) الدكتور عزيز سوربال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ .

اللاهوت والناسوت ، وأنه اتحاد تام وكامل وسري ولا يمكن إدراكه ، فالمسيح بلاهوته وناسوته طبيعة واحدة " (١).

ويعرض الأنبا غريغوريوس أن ما ذهب إليه نسطور " إنما هو اتحاد يمكن وصفه بالميكانيكية حيث جمع فيه بين طبيعتين غير متجانستين ولا متوافقتين في جوهرهما وذلك بفعل قوة إلهية جبارة ، فهو إذاً ارتباط صناعي أكثر منه اتحاد حقيقي حي " (٢) .

وهذا نقد فيه الكثير من القسوة على أفكار نسطور لأنه لم يقل بالارتباط الصناعي وإنما قال بالفصل بين الطبيعتين ، وهذا مما يؤكد رفضه العقلي لفكرة ارتباط المسيح بالإله وحلوله فيه كما يقول دعاة المسيحية .

غير أن نسطور رفض القول باتحاد اللاهوت بالناسوت ، وأكد على أن الفكرة تنقصها الدقة ، وانتهى إلى وجود شخصين هما " يسوع الرجل الكامل بدون خطيئة ، وهو ابن مريم بالجسد ، والثاني الكلمة الإلهي المستقر فيه ، وعلى ذلك ظهرت نظرية الطبيعتين المنفصلتين في طبيعة يسوع المسيح بدل أن كانت طبيعته واحدة " (٣) ومن ثم يكون نسطوريوس قدم أمرا مختلفا عما هو سائد في الأوساط المسيحية مما دفع

---

(1) القس أمير نصر . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٨ ، وراجع الأنبا غريغوريوس مذكرة علم اللاهوت المقارن ص ١٢٨ .

(2) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨١ .

(3) د / عزيز سوريال عطية . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ .

البعض إلى تغيير الموقف منه .

وقد نبه إلى هذه المسألة هيبا الراهب [١] حينما وجه سؤاله لنسطور حول معتقده في يسوع فقال : يا هيبا المسيح مولود من بشر والبشر لا يلدون الإله ، كيف نقول أن السيدة العذراء ولدت رباً ونسجد لطفل عمره شهور ، لأن المجوس سجدوا له ، المسيح يا هيبا معجزة ربانية ، إنسان ظهر لنا الله من خلاله وحل فيه ليجعله بشارة الخلاص وعلامة العهد الجديد للإنسانية [٢].

وكان نسطور ممن يعتقدون أن البشرية تمضي في عهدين أحدهما : القديم الذي يبتدئ من آدم وينتهي إلى ظهور المسيح ، ثانيهما : العهد الجديد للإنسانية وهو الذي يبتدئ مع مجيء المسيح ويستمر [٣] ، وبناء عليه فقد كانت هذه الأفكار تمثل بعض المبادئ الأساسية لدى نسطور نفسه .

وقد عرض شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الفكرة عند نسطوريوس ، حيث ذكر أن مريم العذراء حينما وضعت ولدها لم تكن بوالدة للإله على الحقيقة ، وإنما وجد شخصان أحدهما هو إله مولود من الأب (اللاهوت) والأخر هو إنسان مولود من مريم (الناسوت) وأن هذا الإنسان الذي يقول أنه مسيح بالمحبة متوحد مع ابن إله ، ويقال له إله وابن الإله ليس

---

(1) يوصف أحيانا بأنه هيبا الراهب وأخرى بأنه هيبا الطبيب وثالثة بأنه هيبا المصري وهيبا الغريب . راجع رواية عزازيل ص ١٣ .

(2) هيبا الراهب . رواية عزازيل ص ٤٧ ، ترجمة يوسف زيدان .

(3) هذا الاعتقاد بوجود العهدين تعبر عنه الكثير من الدراسات اللاهوتية حيث يعتقدون أن الزمان السابق على مجيء بشارة المسيح يسمى زمان الله ، أما الذي يجيء مع المسيح فيسمى زمان المسيح . راجع للقس جورج أنور عتبات الأبدية ص ١٩٧ ، ط : كنيسة قصر الدوبارة ١٩٨١ م .

بالحقيقة ولكن موهبة [١] .

فإذا تمت مراعاة ما نقله صاحب رواية عزازيل مع ما ذكره ابن تيمية تبين أنهما ينقلان رأي نسطور على وجه دقيق يتسم بالموضوعية ويعبر عن حيرة داخلية لدى هذا الإنسان .

وقد عبر عن تلك الحيرة الراهب هيبا حينما سئل نسطور عن كيفية تعميد يوحنا المعمدان للمسيح ، فأجاب نسطور بأن يوحنا المعمدان إنسان بينما المسيح في الفكر اللاهوتي إله ... فكيف يعمد الإنسان الإله[٢].

ويقرر الكثيرون من مؤرخي المسيحية أن هذا الرأي قد أثار الكنيسة الأرثوذكسية برجالها على نسطوريوس كما أزعج البابا كيرلس الأول ، عمود الدين اللاهوتي ، والأكثر قدرة على الرد [٣] .

ويحاول أمير نصر عرض وجهة نظر نسطور في كون الإله يسوع ذو طبيعتين ، فيقول إن الله روح ، ولا يمكن أن تلده امرأة ، والمخلوق يستحيل أن يلد غير المخلوق ، إن مريم قد ولدت الإنسان الذي تجسد فيه الكلمة ، وأما اللاهوت فلم يولد كالناس من مريم وبناء عليه فإن المسيح فيه طبيعتان ، وهو ابنان ابن الله ، وابن مريم ، وابن الله

---

(1) شيخ الإسلام ابن تيمية . الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ٣٦ ، تعليق / علي السيد صبح المدني ، مكتبة المدني ومطبعتها بجدة .
وراجع الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية – كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٧٩ ، ط : مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .

(2) هيبا عزازيل ص ٤٧ ، ٤٨ . وقد اشتهر هذا بابا كيرلس . العنف الذي يختلف تماما عن طبيعة الفكر الذي تدعو إليه نصوص المسيحية ، ولكن في ذات الوقت يعبر عن نزعة امتلئت بالعنق مارسها هذا البابا ورجاله في وقت كان الأولى بهم مراجعة مواقفهم مع النصوص التي يتحدثون عنها ، أو يتمسكون بها .

(3) كلمة أو مصطلح عمود الدين اللاهوتي من الألفاظ التي يستخدمها رجال اللاهوت، وتبدو كثيرا في الكتابات المسيحية . راجع الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٥ ، وعزيز سوريال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٨٩ .

حينما صنع معجزة وهو ابن مريم عندما أكل أو نام أو صلب أو مات[١].

ويرفض ابن البطريق ما ذهب إليه نسطوريوس بشأن وجود الطبيعتين فيقول : " أخبرونا عن الناسوت التي اتحد به اللاهوت وسمي مسيحا ، هل هو لم يزل مسيحا منذ كان في بطن مريم إلى حين وضعته، وأرضعته ، وشب وصلب وقتل ، أم كان سنه ثلاثين سنة ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحا " (٢) .

ونحن نرى أن فكرة وجود طبيعتين في شخص المسيح أو غيره إحداهما مادية تتمثل في الهيكل الجسماني ، والثانية روحانية غير مرئية بذاتها وإنما تدرك بآثارها ، ويطلق عليهما معاً اسم الإنسان ، فهذا مما جاءت به النصوص الشرعية ، ولا يمانع في قبوله ذو العقول السليمة[٣].

كما نؤكد على أن اتصال الروح بالجسد في كافة بني الإنسان إنما هو من صنع الله الذي أتقن كل شيء ، وفي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ : " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ " (٤) ، وإذا

---

(1) القس أمير نصر . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٩ .

(2) شيخ الإسلام ابن تيمية جـ ٣ ص ٤٣ وهو هنا يعرض قول سعيد بن البطريق أحد كتاب المسيحية القدماء ثم يناقش رأيه ثم يبطله أيضاً .

(3) يدل عليه قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ الآيتان ١ ، ٢ من سورة الإنسان .

(4) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة جـ ١٠ ص ٤٥٨.

أراد الله انفصال الروح عن الجسد لحظة الوفاة فإن ذلك من قضاء الله وقدره ولا دخل لأحد فيه ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (١) ، إلا أن ذلك ليس من قبيل ما جاء به نسطورس .

وقد تندر ابن تيمية من كلامهم هذا سواء في فكرة اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو فكرة وجود الطبيعتين اللاهوتية والناسوتية في المسيح ، وبين أن هذا من تزيين الشيطان لأنه " لم ينطق نبي من الأنبياء لا المسيح ولا غيره بأن الله اتحد بشيء من المخلوقات ، فثبت أن ما يعرضه النسطوريون وغيرهم بهذا الشأن إنما هو من تزيين الشيطان"(٢)، قال تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣) .

وإذا كان نسطوريوس قد هدف إلى هدم اتحاد اللاهوت بالناسوت، كما هو قائم في الفكر المسيحي ، فإنه في ذات الوقت أقام الطبيعة الثنائية التي تمثل جمعا بين طبيعتين غير متجانستين ولا متوافقتين في جوهريهما مما يؤكد أن العقيدة الإلهية تتسم بالكمال والجمال والجلال والإكرام ، أما العقائد الوضعية فإن طبيعتها تقوم في العجز والقصور والنقصان ، وبالتالي فموقف نسطوريوس يعبر عن وجهة نظر عقلية في فلسفة دينية بعيدة كل البعد عن الميتافيزيقا التأملية ، لأن الله تعالى واحد

---

(1) سورة الملك الآيتان ١ ، ٢ .

(2) شيخ الإسلام ابن تيمية . الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٥٠ .

(3) سورة فاطر الآية ٨ .

أحد فرد صمد لا يحل أو يتحد ، ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير [١].

المبدأ الثاني : إنكار والدة الإله .

([1]) من المعروف أن الميتافيزيقا التأملية هي ما يتعلق بالغيبيات الدينية التي لا يمكن التجريب عليها ، وإنما يؤمن المرء بهـا طبقا ما جاءت الشريعة به كالروح والخلود واليوم الآخر ، أما الميتافيزيقا النقدية فهي ما يتعلق بالغيبيات العلمية ويمكـن الوصول إليها عن طريق التجربة في بعض الصور التي تقبل التجربة العملية . راجع الدكتور / سليمان دنيا . التفكيـر الفلسفي الإسلامي ص ٣١٣ – ٣١٩ وهو يناقش منكري الغيب من زعماء الوضعية على اختلاف طبقاتهم .

يقرر نسطور أن لقب والدة الإله له مذاق وثني [١] ويتعارض مع التعبيرات الواردة في الكتب المقدسة [٢] ، ويعترف نسطور بأن الأفكار الوثنية دخلت المسيحية في صور متعددة وباتت لها مظاهر مختلفة وجاء ذلك في حديثه مع صديقة هيبا حين أخبره بذلك وأكد له على وجود تلك المشكلات من خلال الأخذ عن التراث الوثني القديم حينما قال له هيبا هذا تراث وثني قديم [٣] .

لقد رأى نسطور أن الأفكار التي نقلت عن الآخرين وأدخلت إلى الكتاب المقدس بعضها جاء من المصرية القديمة حيث اعتقد المصريون القدماء أن الآلة تولد كما ظهر شيء منها لدى فكر اليونانيين القدماء ، وكذلك أصحاب الديانات الوثنية على وجه العموم باعتبار أن المسيحية كانت تأخذ من أفكار البلاد التي يقومون فيها [٤] .

لقد أخذت المسيحية من أفلوطين المصري ، ويقرر نسطور هذه المسألة قائلا : " أرى أن كثيراً من أصول الديانة أتت من هناك الرهبنة حب الاستشهاد علامة الصليب كلمة الإنجيل حتى الثالوث المقدس هو فكرة ظهرت أولاً بنصوع عند أفلوطين وكررها في كتابه التاسوعات

---

(1) حيث ذكر الباحثون في الديانات الوضعية أن لقب والدة الإله ظهر في تلك الديانات بصور عديدة يستوي في ذلك الفكر المصري القديم مع إخناتون وأمه الإلهة . راجع د / البابلي = = في الإلهة عشتروت وغيرها من ديانات الشرق الأقصى والأدنى والأوسط ، لمزيد من التوضيح راجع لسيرغيتو كاريف . الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٩٨ وما بعدها ، ولجون كوكر . الفكر الشرقي القديم ص ٦٤ وما بعدها ، وجيمس هنري- بريسين . المعضدات الدينية لدى الشعوب ص ١١٢ وما بعدها – سلسلة عالم المعرفة .

(2) راجع للأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨١ .

(3) الراهب هيبا عزازيل ص ٤٦ .

(4) راجع في هذا ما كتبه ول ديورانت في موسوعته الشهيرة قصة الحضارة حيث تناول ولادة الآلهة من أمهات يغلب عليهن ما في الصنعة الأسطورية من خيال وخرافة معا .

وهو ثالوث أفلوطيني فلسفي انطوى على صورة دينية [١] ، والمسألة بينهما قائمة في أن المسيحية أخذت من الفكر الأفلوطيني " [٢] .

من الواضح أن نسطور كان يتبنى آراء رآها جديرة بالاحترام من الناحية العقلية وإن لم تكن مقبولة في المسيحية الدينية بدليل أن القديس كيرلس الأول الملقب بعمود الدين كان يقرر أن لقب والدة الإله نص ديني [٣] ويعتقد أصحاب المسيحية أنها حقيقة لاهوتية ، لكن أناستايوس رفض هذه الفكرة وأكد على أنها ليست حقيقة لاهوتية بل قال لا يجوز " لأحد أن يدعو مريم والدة الإله ، لأن مريم لم تكن إلا امرأة ومن المستحيل أن يولد الله من امرأة ، يقول الأنبا غريغوريوس لقد أثار هذا القول مشاعر المؤمنين " [٤] .

لم يكن نسطور وحده هو الذي قرر تلك الفكرة في المسيحية ودافع عنها وإنما سبقه إليها وأكد عليها جمع من مفكري المسيحية ومنهم تيودور نفسه الذي كان يملك قدرا كبيرا من المعرفة الدينية ، وفي ذات الوقت يمثل وجوده داخل الكنيسة وجودا سماويا [٥] .

يحاول غريغوريوس تعقب كتابات نسطور ومن كان على مذهبه ويصفهم بالهراطقة تارة والعلمانية تارة أخرى ، كما يحاول تخطئة الذين ترجموا الكلمة من اليونانية أو اللاتينية بمعنى والدة الإله أو أم الإله وأكد

---

(1) ثالوث أفلوطين هو الواحد والعقل الأول ثم النفس الكلية ، والثالوث المسيحي هو الأب والابن والروح القدس .

(2) الراهب هيبا عزازيل ص ٣٦ .

(3) ويستشهد عليه بما ورد في أشيعيا الإصحاح التاسع فقرة ٦ حيث قال النبي أشيعيا يولد لنا ولد ويدعى اسمه عجيبا .

(4) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨١ .

(5) اشتهر تيودور بأنه أسقف المصيصة نسبة إلى الكنيسة التي كان يمثل الراعي فيها ، كما سمي أو لقب بالأسقف تيـودور المفسر وقد كانت بينه ونسطور علاقة مودة بلغت في بعض الأحيان اعتبار تيودور نسطور خليفته الأصلي . راجع هيبا عزازيل ص ٢٦ – ٣١ .

على أن الترجمة المقبولة هي التي ولدت الله [١].

من الصواب القول بأن نسطور كان على وعي بالموضوعات التي يتناولها ولذا أحرج خصومه في مناطق كثيرة ، يدل على ذلك رفضه تسمية أو تلقيب مريم بوالدة الإله ، مما اعتبره إهانة لها ، أو انتزاعا لكرامتها ، وقد غاب عنهم أنهم بتلقيبهم إياها والدة الإله إنما يخرجونها من وضعها الحقيقي إلى صورة أسطورية لا يمكن قبولها على ناحية من النواحي الصحيحة .

أجل اعترف غريغوريوس أن تلقيب مريم بوالدة الإله إنما هو تكريم لها وهي جديرة به [٢] ، لأنه يركز على لاهوت المولود من العذراء ، لأن المولود من مريم هو الإله المتأنس وأن ابن الله لم يفقد بتأنسه شيئا من اللاهوت الذي كان له منذ الأذل [٣] ، كما يعتقد غريغوريوس أيضا أن المولود من مريم لابد أن يكون له ناسوت حقيقي وليس خياليا فيقول : " وقد ولد ابن الإله المتأنس ولادة حقيقية ولم تكن ولادته خيالية أو ظاهرية " [٤] .

لقد نبه نسطور إلى أن ولادة مريم للإله مسألة غير قابلة للتصديق لا من الناحية العقلية ولا من الناحية النقلية ، وإنما الصواب هو التخلي عن تلك الأفكار ولا مانع من أن يكون تلقيبها بأم الإله على ناحية

---

(1) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٠ .

(2) يلاحظ أنه يغالط نفسه ويلجأ إلى استعمال الجدل السوفسطائي من حيث يعمد إلى إساءة مريم ويزعم أنه يكرمها .

(3) وهذا التصور الساذج موجود في الديانات الوثنية القديمة والحديثة التي تقوم على زعم وجود زوجة أو ابن لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

(4) الأنبا غريغويوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٢ .

مجازية [١]

وقد جمع غريغوريوس مناطق النقد التي قال بها نسطور وكيفية مواجهة البابا كيرلس لها وردوده عليها ، والذي يعنيني هنا هو الاستفادة مما سجله الآخرون في تصوير آراء نسطور ، أما مناقشتها فذلك أمر تكفل به على أساس أن النصوص الشرعية أغنت عن الاعتماد على غيرها ، بدليل قوله تعالى في نفي الزوجة والابن والشبه وأمثال ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢] .

المبدأ الثالث : تأويل الحلول والاتحاد :

يعتقد أصحاب الحلول والاتحاد أن كلمة الله الأب قد اتحد قنوميا بالجسد وهو مع جسده مسيح واحد إله واحد بعينه وإنسان معا ، فهو جامع في اتحاده الجسدي بين الألوهية والإنسانية [٣] ويعتقد نسطور أن هناك انتقالا قد حدث في الفكر المسيحي نتيجة تأثره بالفكر الوثني ، على أساس أن القول بالاتحاد أو الحلول يؤدي إلى التأكيد على أن الجسم " الذي حل فيه أصبح قادرا على أن يحتوي الطبيعة الإلهية [٤] وأن

---

(1) حاول عوض سمعان في كتابه كهنوت المسيح ، وإلياس مقار في كتابه إيماني ، وكثير غيرهم الدفاع عن العقائد المسيحية من الناحية المجازية ، ولكن محاولاتهم لم تبلغ الحد الذي يسمح بقبول هذه المعتقدات من الناحية النقدية .

(2) سورة الأنعام الآية ١٠١ .

(3) مسألة الاتحاد والحلول من المسائل التي تعبت علماء المسلمين القول في بيان فسادها على النواحي النقلية والعقلية ، ولمزيد من التفاصيل يراجع شرح المواقف للجرجاني المجلد الرابع ص ٨ الموقف الخامس أثناء الحديث عن إبطال المشبهة والمجسمة والحلولية

(4) نحن المسلمين نرفض فكرة الطبيعة الإلهية لأننا لا نصف الله تعالى ولا نسميه إلا بما وصف نفسه به أو جاء اسما من أسمائه تعالى .

الطبيعة الإلهية اتحدت بالجسد ، أو من ينسب إلى الجسد امتدادا لا نهائيا ثم يقول إن الطبيعة الإلهية لا يمكن أن تحتويها حدود الجسد بل إن الطبيعة الإلهية هي الإله والإنسان معاً " [١] .

فكأن نسطور يرفض فكرة الاتحاد والحلول الأقنومي بالجسد ولا يرفض فكرة وحدة الوجود ، وهذا مظهر من مظاهر التأويل التي خرج بها نسطور عن القاعدة التي تشبث بها المسيحيون وبخاصة أتباع الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية .

صحيح أن وحدة الوجود قد تكون مخرجاً من المخارج التي اعتمد عليها نسطور ولكن هذا الأمر يحتاج إلى بيان أنواع وحدة الوجود ، حيث إن إحداها : يقوم على أن الكون الموجود إنما هو امتداد لجسد الإله وهي فكرة أسطورية ظهرت لدى الجينية وغيرهم من أصحاب المذاهب الهندية والصينية والفارسية القديمة[٢]. **ثانيها**: وحدة الوجود الفلسفية وهي التي تقوم على أن الوجود كله صورة لفعل إلهي منبث في الكون يغطي جميع أجزائه [٣] ، ولا يكون ذلك إلا من خلال عمل اضطراري تجيء فيه الكائنات على النحو الذي تبرز مظاهره في الكون كله ، **ثالثها**: وحدة الوجود الكلامية ، وهي التي تقوم على أن كل ما في الوجود إنما قائم بأمر الخالق العظيم ، وراجع إلى إرادته العليا وعلمه الشامل وحكمته

---

(1) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٤ .

(2) وقد نبه إلى ذلك د / غلاب في كتابه . الفلسفة الشرقية ، وذكر هذه التفاصيل. ول ديورانت . قصة الحضارة أثناء حديثه عن الجينية وبين أنها من الأساطير كأسطورة اباجاياتي وفسادها محمول في جنباتها .

(3) ولذا فهي وحدة موجودات مرتدة إلى موجد واحد ، لكنها قد تحمل معنى الفيض أو الصورة وهذا مما ينفي الاختيار عن الله تعالى .

البالغة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [١] ويصح أن تسمى وحدة موجودات مخلوقة . **رابعها**: وحدة الوجود الصوفية ، ومعناها أن كل ما في الوجود إنما هو واقع تحت نظر الخالق العظيم وعلمه وقدرته وإرادته من حيث إنه كذلك ، فهي وحدة وقوع في دائرة العلم الإلهي بحيث لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين[٢].

المبدأ الرابع : تمايز الجوهرين .

يعتقد المسيحيون أن جوهر الله الكلمة هو ذاته جوهر الإنسان وبناء عليه قالوا : إن هناك نوعا من الاتصال بين سلطة الإله الأب وقوة الإله الابن ، وقد أدى ذلك إلى اختلاط الواحد وتقسيمه مع الآخر كأنها قسمة أجزاء ، إلا أن نسطور يرفض هذا التصور ويقرر أن المسيح واحد باعتباره حلقة وصل بين جوهر الإله الكلمة وجوهر الإنسان الذي اتخذه ، فهو علاقة ربط بين جوهرين ، أو هو مركب منهما في لحظة ما يطلق عليه اسم عمانوئيل [٣] ، ويقرر نسطور أن المسيح في هذه الحال لا يجوز أن يدعي واحدا ينظر إلى طبيعته وإنما ينظر إلى الاتصال بين الطبيعتين وعلى أن هناك مركبا واحدا تألف من الجوهرين " جوهر الله الكلمة وجوهر الإنسان الذي اتخذه " هو الابن وان الجوهرين لا يزالان

---

(1) سورة القمر الآية ٤٩ .

(2) وهذه الوحدات غير وحدة الشهود التي يقول بها الصوفية ، وقد يشاركهم في جانب منها أصحاب المذهب الإشراقي كما فعل السهروردي في كتابه مصنفات شيخ إشراق ص ١٨٠ وما بعدها ، ترجمة هنري كوربين – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م

(3) يذهب البعض على أن كلمة عمانوئيل تفسيرها الحرفي الله معنا ، وهو اسم عبري وهو الابن الذي تحبل فيه العذراء وتلده . قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٩ دار مكتبة العائلة ، ط : الرابعة عشرة سنة ٢٠٠٠ م ، وراجع معجم اللاهوت الكتابي – باب العين ص ٥٦٣ ، ط : دار المشرق – الثالثة ١٩٩١ م .

يحتفظان بهذا التركيب من غير اختلاط [١].

صحيح أن هذه الفكرة يمكن أن يعبر عنها باستقلال الطبيعتين ولكن الأمر لا يكون متناسقا مع النتيجة لأن نسطور نظر إلى الطبيعتين من خلال ما أطلق عليه اسم مصطلح جوهر الله الكلمة وجوهر الإنسان الذي اتخذه ، ثم جعل عمانوئيل وحدة تأليف بين هذين الجوهرين من غير أن يطغى أحدهما على الآخر وهو ما يسمى بالاستقلال القائم في كل من الجوهرين على حدة .

ونحن نرفض أن يسمى الله جوهرا على آية ناحية من النواحي سواء أكان جوهرا حالا أو محلا [٢] لأن ذلك مما لا يليق بذات الله ولا صفاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

يقرر الشيخ ابن تيمية أن صفات الرب التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها لا تتبدل ولا تنقلب ولا تستحيل [٣] .

المبدأ الخامس : التوسع في إطلاق لفظ الابن .

يعتقد المسيحيون أن الابن الوحيد هو المسيح وبخاصة أنه الذي جاء من الإله فهو حامل الله وهو الابن الواحد بالطبيعة ، أما غيره فلا يصح أن يطلق عليه ابن الله إذ أن هذا الابن صار واحد بالطبيعة والتجسد [٤] ، أما نسطور فيعتقد أن الذي خلقه من العذراء ليس هو الابن الوحيد الذي ولد من الأب قبل نجمة الصبح ، ولو أن معروف بلقب

---

(1) الانبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٤ .

(2) الجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة ، وإلى بسيط جسماني كالعناصر ، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل وإلى مركب منهما كالمولودات الثلاثة . راجع السيد شريف الجرجاني – التعريفات – باب الجيم ص ٧١ ، ط : الحلبي ١٩٣٨ م .

(3) شيخ الإسلام ابن تيمية . الجواب جـ ٣ ص ٣٩ .

(4) الابن الواحد بالطبيعة والتجسد قامت أصول هذه الفكرة لديهم بناء على أن المسيح الإنسان إنما هو حامل الله فهو الله الحقيقي في المعنى والابن الواحد بالطبيعة .

الابن الوحيد بسبب اتحاده بمن هو بحسب طبيعته الابن الوحيد للأب [١].

وبناء عليه فيقرر نسطور أن جميع الداخلين في المسيحية هم أبناء الرب لا من حيث أن أمه العذراء ولكن باعتبار أن الإله هو الذي أوجدهم جميعا فكل إنسان صار واحدا بالكلمة فتجسد فيها ، حتى وإن كان مخلوقا بواسطتها ، وفي هذا نوع من التطور الفكري الذي شغل المسيحية وحولها على يد نسطور من مفهوم جسد ينحصر بإطار ابن وحيد إلى مفهوم عام يشمل جميع المؤمنين بالمسيحية

لقد استفاد عوض سمعان من تلك الأفكار النسطورية حينما قرر أن جميع المسيحيين هم أبناء للرب لهذا الاعتبار وأكد على أن التفسير المجازي لكلمة ابن الله يفتح الباب أمام جميع المؤمنين بالمسيح والمسيحية ليكونوا شركاء في هذه النبوة وإن لم يكونوا شركاء في فكرة المخلص [٢].

يقرر أصحاب سيرة المسيح أن عملية الخلاص يقوم بها المسيح وحده ، ثم يجيء بعده من أنابه المسيح ، لأن الدين " حسب تعاليم المسيح هو داخلي لا خارجي هو عطية الحياة من الله أولاً ، ثم بعد ذلك تظهر الثمار الناتجة عن هذه العطية والانتقال من حال الطبيعة الجسدي إلى حال النعمة هو وحده الذي يفتح الباب للانتقال من حال النعمة إلى المجد الأبدي " [٣]

لقد اعتقد الكثيرون أن فكرة المخلص هذه تمثل مرحلة جديدة في

---

(1) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٥ .

(2) فكرة المخلص في المسيحية تحولت إلى عقيدة تجري مع فكرة الخلاص وجها لوجه ولهذا كثر ذكر المسيح المخلص في العهود السابقة .

(3) الدكتور / جورج فورد . القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ، ثم ترجمته إلى سيرة المسيح ص ١١٧ كنيسة قصر الدوبارة – بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م .

المسيحية وكان نسطور قد فتح الباب ليكون كل من دخل المسيحية يملك هذا الحق أو على الأقل يستطيع " دعاء أنه ابن الله ، ولكن هذه الدعوى لم تحقق الأحلام التي حرص نسطور على تمتع مشاعره بها بدليل أن الكنيسة خاصمته وطردته بل وألقت به إلى الهلاك ، إن الله تعالى واحد أحد وهو أعلم حيث يجعل رسالته ولم ينب أحدا عنه ، وبناء عليه فإن فكرة المخلص على النحو الذي سبق تعتبر ساقطة ولا تعتمد على أدلة مقبولة " (١)

المبدأ السادس : استلزام الشراكة .

يؤكد المسيحيون أن الإنسان يكفيه دخوله في المسيحية حتى يكون مسيحيا وبالتالي فالعبادة يمكن أن تقدم للإله الآب عن طريق الابن الوحيد الذي هو في الأصل قابل لها ومعرج عليها ، فالشركة بين العبد المسيحي وبين الرب منقطعة طالما كان الابن قادرا على القيام بتلك العلاقة (٢) وهذا ما يعرف لديهم باسم الإنابة (٣) .

يقرر نسطور أن العبادة لا تكون مقبولة إلا إذا كانت فيها شراكة بين الإله الآب والابن والوحيد ، بحيث يكون الإنسان المصلي على وعي بأنها مقدسة وسامية (٤) .

ونفس الفكرة يقررها غريغوريوس حيث يقول : " إن العبادة لا يمكن أن تقدم بصورة العبد ذاتها لأن صورة العبد لا تحترم إلا بفضل الشراكة التي

---

(1) فكرة المخلص عند نسطور تجعل كل أفراد المسيحية الداخلين إليها بمثابة المخلصين ومن ثم فمن الذي سيحتاج إليهم حتى يخلصوه إلا نسطور كان في خياله إمكانية تحويل المسيحيين إلى قديسين أبرار بدل أن يكونوا شياطين فجار ، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

(2) راجع للقس منيس عبد النور . المجيء الثاني ص ٧٣ ، ٧٤ ، ط : كنيسة دار المحبة ١٩٦١ م .

(3) قد تكون الإنابة كلية عن الرب يقوم بها يسوع المسيح ، وقد تكون نابة جزئية يقوم بها السيد المسيح أو من ينوبه . جورجي إبراهيم ، الطبيعة اللاهوتية ليسوع ، ص ٨١ ترجمة / هاني رشدي ، ط : دار المحبة ١٩٧٢م .

(4) القس يوسع زكريا . القيامة الكبرى ص ٤١ ، ٤٢ ، ط : دار رشيد ١٩٨٣م .

تصل بها وتربطها مع طبيعة الابن الوحيد التي هي مقدسة وسامية بطبيعتها"[١].

من الواضح أن نسطور يسعى إلى عقد صفقة بين الفرد المسيحي الذي أطلق عليه ابن الله بالإضافة أو التبع وبين ابن الإله الذي يتمسك به المسيحيون ، فجاء كلامه على ناحية يحاول من خلالها إرضاء وجهات النظر المتباينة [٢].

ولا يخفى أن فكرة الوساطة في قبول العبادات أو الإنابة تعبر عن وجهة نظر غير مقبولة من الناحية الشرعية ، لأن الله تعالى لم ينب أحدا عنه جل شأنه حتى لو كان هو النبي نفسه لأنه مسئول أمام الله تعالى كما هي مسئولية كل فرد على حده ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ..... ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ..... ﴾ [٤].

كما أن العبادات نوع من التكاليف التي جعلها الله لإصلاح أمور الخلق في معاشهم ومعادهم ، والنصوص القرآنية على ذلك كثيرة ، فعن الصلاة مثلاً قال الله تعالى : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ... ﴾[٥] وعن الزكاة قال الله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾ [٦] وقال في

---

(1) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٥ .

(2) ربما فهم من كلام نسطور الذي قال فيه إن الإنسان مسيح متوحد بالمحبة مع ابن الله ويقال له إله وابن إله ليس بالحقيقة وإنما على معنى آخر . شيخ الإسلام ابن تيمية . الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٤٠ .

(3) سورة الأنعام الآية ٩٤ .

(4) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

(5) سورة الكهف الآية ٢٧ .

(6) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

الصيام ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ... ﴾ [١] ، وقال في الحج : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً ... ﴾ [٢] .

صحيح أن أفعال الله تعالى وأمره ونواهيه وأحكامه ليست تعليلية، بمعنى أنها راجعة إلى الله تعالى ، فهذا ما لا نقبله وإنما هي معللة بعلل راجعة إلى مصالح العباد أنفسهم ، يقول العلامة الكمال ابن أبي شريف : أحكامه سبحانه وتعالى معللة بالمصالح ودرء المفاسد عند الفقهاء على ما يعرف في أصول الفقه في أبواب القياس ، وعلم أن تعليلها بها عند فقهاء الأشاعرة بمعنى أنها معرفة للأحكام من حيث أنها ثمرات تترتب على شرعيتها وفوائد لها وغايات تنتهي إليها متعلقاتها من أفعال المكلفين لا بمعنى أنها علل غائبة تحمل على شرعيتها [٣] .

مما سلف بيانه اتضح أن النسطورية في ظل تاريخها القديم قامت على أكتاف نسطور الراهب الذي استعمل عقله في دراسة العقائد التي عرضت له .

التأثير والتاثر :

لم يكن نسطور يملك النظر العقلي في العقائد المسيحية مهما كان شأنها وبخاصة أن المؤلفات التاريخية ذكرت حماسه الشديد للمسيحية ودفاعه المتواصل عن تلك العقائد بغض النظر عن موافقتها للعقل أو مخالفتها غير أن نسطور التقى مع بعض المفكرين الذي أعجب بفكرهم وبدأ يستمع قليلاً لهم ، ويتعرف أخبارهم ، ويبدو أنه قد أعجب ببعضهم

---

(1) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

(2) سورة الحج الآية ٢٧ .

(3) العلامة الكمال ابن أبي شريف . كتاب المسامرة بشرح المسايرة للعلامة الكمال= =ابن الهمام في علم الكلام ص ١٨٦ ، ١٨٧ وبهامشه حاشية للشيخ زين الدين قاسم الحنفي ، ط : الأولى ١٣١٧ هـ ، المطبعة الأميرية .

من أمثال " بردائيسان وتاتيان " الذين كانا لهما دور كبير في إحداث نوع من التغيير في تناول العقائد المسيحية " ويعتقد البعض أن بردائيسان غنوصيا [١] تابعا لفالنتيان ولم يتخلص تماما من دنس الهرطقة القديمة"[٢]، وكان هذا الرجل ممن عملوا على إحياء الآداب والفلسفات القديمة وقد أعجب به نسطور واستفاد من منهجه في تناول العقائد الدينية في المسيحية على ناحية تحليلية.

كذلك سمع نسطور عن القس " رابولا " الذي بدا من منهجه ضرورة مراجعة الترجمات التي تمت للكتاب المقدس وإصلاح ما بها من أخطاء [٣] وفي نفس الوقت استطاع " رابولا " أن يكتسب ثقة معلمي السريان والمدافعين عن الأرثوذكسية ، وقد نجح " رابولا " في التأثير على عقلية نسطور مع أنه لم يتأثر بالأفكار التي يعتقدها أو يكررها [٤] ونظرا لحماس نسطور ورغبته في التغيير وشعوره بأن علاقته بالقيادات العليا في الدولة تسمح له بحصانة قد لا تتوفر لغيره اندفع في طريق الأخذ عن رابولا كما أخذ عن غيره ، وقد تأثر بهم جميعاً كل على ناحية خاصة [٥]

كذلك تأثر نسطور بثيودورس الأستاذ الشهير الذي كان راهبا ، اشتهر بمقدرته الكبيرة على التأثير في قلوب المستمعين ، كما أن صوته الجميل كان مؤثرا عند ترتيل القداس الإلهي.

---

(1) مذهب فلسفي يقوم على تناول القضايا العقدية المسيحية من خلال وجهة نظر بعيدة تماما عن عقائد الدين المسيحي .

(2) د / عزيز سوريال عطية . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٤ .

(3) وبخاصة الترجمات السريانية الشعبية التي باتت بحاجة ماسة إلى تلك المراجعة .

(4) لقد كان رابولا يقوم بعمل المحرك الأساس للنظر في العقائد المسيحية بحيث يدفع غيره إلى ذات الطريق ، وفي نفس الوقت هو يلتزم في عظاته كافة المعتقدات المسيحية الأرثوذكسية

(5) راجع د / عزيزسوربال عطية . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ .

ومن الواضح أن هؤلاء كان لهم جميعا تأثير على نسطور وبخاصة المفسر تيودر أسقف المصيصة الذي كان يذكره نسطور باسم الأسقف المبجل تيودور [١] .

استطاع تيودور أن ينفخ في وجدان نسطور كل ما عجز تيودور نفسه عن إبلاغه أو إعلانه ، ومن ثم كانت رعايته لنسطور بمثابة التأكيد على الفكرة بغض النظر عن الشخص الذي يحملها للآخرين أو ينقلها إليهم[٢].

كذلك ظهر على مسرح الأحداث التأثيري الكاهن اناستاسيوس الذي كانت له آراء في لاهوت المسيح وأمه أيضا ، وكان يركز في عظاته على هذا الجانب ، وكان نسطور يعجب بعرضه ودفاعه ، ومن المؤكد أنه قد تأثر به نوعا ما من التأثر[٣] .

في نفس الوقت ظهر الأسقف يوحنا الانطاكي الذي كان يعتقد آراء عديدة بثها في عظاته المختلفة ، وتأثر بها نسطور ولم يعلن عنها يوحنا الأنطاكي عندما انعقد مجمع أفسس لمعاقبة نسطور على الآراء التي يقول بها [٤].

---

(1) هيبا . عزازيل ص ٢٦ ، ٢٧ ترجمة يوسف زيدان .

(2) العبرة لدى تيودور كانت مركزة على إبلاغ الفكرة بغض النظر عن الشخص الذي يقوم بها وهذا في حد ذاته إعلان صريح لذوي الغايات التبريرية المنتشرة صورها ومظاهرها في الكتاب المقدس على وجه العموم .

(3) أغلب المصادر المسيحية تعتبر اناستاسيوس أحد الأصدقاء المقربين لنسطور ، بل يغالي البعض فيعتقد أن اناستاسيوس هو السبب الرئيسي فيما وقع لنسطور . الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨١ ويسميه أناستاسيوس ، ويصف آراءه بأن لها مذاق وثني .

(4) راجع للدكتور / عزيز سوربال عطية . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٩ ، ٢٤٠

ومن هنا يتضح أن نسطور أخذ الآراء التي تأثر بها من مصادرها التي سبقت الإشارة إليها ثم أضاف إليها ما يمكن أن يمثل نوعا من الصياغة اللغوية والترتيب للأفكار ووضعها في مجموعات استقلالية ثم إعلانه لها والتمسك بها والدفاع عنها ، ومن هنا سارت تحسب له ويعاقب عليها مع أنه في الأصل كان مجرد جامع لها معجب بأطرافها .

ولما كانت السياسة معه أول الأمر فقد عبر عن وجهة نظره تلك بحرية تامة ، فلما انزعج الروم وانزعجت الكنيسة الأرثوذكسية وعلى رأسها الباب كيرلس الأول اللاهوتي العظيم ، تحولت السياسة من الدفاع عن نسطور إلى أمر آخر لا يمكن القول إلا أنه خذل نسطور في مواجهة أرثوذكسية حيث أكد نسطور على وجود شخصين هما يسوع الرجل الكامل بدون خطية ابن مريم بالجسد وهو الطبيعة الأولى [١] ، كما أكد على الطبيعة الثانية أو الشخص الثاني وهو الكلمة الإلهية المستقرة في يسوع المسيح وعلى ذلك ظهرت نظرية الطبيعتين المنفصلتين في يسوع المسيح [٢] .

غير خاف أن ظهور تلك الآراء التي قال بها نسطور واعتبرت هرطقة في الدين من وجهة نظر القلعة الأرثوذكسية دفعت القيادة السياسية إلى التخلي عن نسطور وبالتالي صارت المسألة في يد بابا

---

(1) رأي نسطور أن هذه الطبيعة مستقلة تماما لأنها تقوم على جسد مريم وبالتالي فهو جسد إنساني تماما .

(2) راجع د / عزيز سوربال . تاريخ المسيحية ص ٢٣٨ ، غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨١ .

كيرلس الأول ورجاله [١]

من هنا صار نسطور متهماً في عقيدته الدينية وقد ترتب على هذا الاتهام الديني ما يمكن أن يسبب قلقا أمنيا ، ومن هنا ترتب على تلك المسألة جملة من الإجراءات الدينية والسياسية ، كما نتج عنها فيما بعد ظهور الكنيسة النسطورية التي أخذت تعاليم نسطور وتمسكت بها على النحو الذي سيظهر أثناء حديثنا عن النسطورية الحديثة " الجديدة " .

محاكمة نسطور :

أصحاب التفكير إذا جاءوا في زمن التكفير قد يضيع مجهودهم العقلي ولا تظهر لهم نتائج إيجابية ، والتاريخ الإنساني العام مازالت صفحات فصوله تقص هذه الأنباء واحدا بعد الآخر [٢] ، وسوف أعرض للمجامع التي انتهت بالنتيجة المذاعة عن نسطور .

مجمع الإسكندرية الأول .

لما زاعت آراء نسطور بين الناس وسارت قلعة الأرثوذكس وعلى رأسها البابا كيرلس الأول ، وأخذ الأخير في تعبأة الرأي العام ضد نسطور متخذا لذلك وسائل بعضها جاء في شكل نصائح محمولة إلى نسطور عن طريق الرمز والإشارة ويبدو أن ذلك لم يحقق الهدف ولم يصرف نسطور [٣] في نفس الوقت لم تحقق رسائل البابا غايتها واعتبرها نسطور صورة غير لائقة ما كان يصح أن يقوم بها البابا .

---

(1) وفي الأمثال الجارية مجرى الحكم يقولون إذا كان الحكم خاصا لك فلن يقبل منك الشهود .

(2) المعروف أن الإنسان ميزه الله بالتفكير السليم الذي يحقق السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة ، وآيات القرآن الكريم جاءت ظواهرها تدعم هذا الجانب وتحث عليه كما تمتدح القائمين به من مثل قوله تعالى ﴿ .... إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(3) يذكر أمير نصر أن البابا في رسالته الفصيحة إلى جميع كنائس العالم بمناسبة عيد القيامة المجيد عام ٤٢٩ م ، وأنه صحح أخطاء نسطور العقائدية دون أن يشير إليه صراحة . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٣٠ .

ويعتقد القمس بيشوي كامل أن رسائل البابا كانت مملوءة بالأناة والوعي وتحمل الإصلاح ولكن نسطور رفض ذلك كله [١]

ويبدو أن الأمور بين كيرلس ونسطور لم تحتمل التهدئة وإنما بات كل منهما يشعل النار فيها فإما غالب يبقى وإما منهزم يفنى ، ولا يقبل أحد الرجلين هزيمته أمام الآخر [٢] ، صارت الأحداث تجري بين البابا ونسطور حيث يرسل البابا رسائل ومندوبين من الآباء الأساقفة ويرفض نسطور مقابلتهم والحديث معهم أو الاستماع إليهم ، ومن هنا قرر البابا الدعوة لانعقاد مؤتمر الإسكندرية الأول عام ٤٣٠ م ليكون بمثابة مجمع تحضيري تعرض فيه آراء نسطور والأخطار التي تهدد إيمان الكنيسة [٣] وتحضيريا من الواضح أن مجمع الإسكندرية الأول سنة ٤٣٠ م يصح تسميته مجمعا إقليميا ، وقد حضره جميع أساقفة الكرازة المرقصية ، حيث أقروا القرارات التي اتخذت ضد نسطور

وسبق إعدادها من قبل البابا كيرلس [٤] نفسه وأهمها :

١ – إدانة نسطور وشجب تعاليمه .

٢ – التمسك بقانون الإيمان الذي أقره مجمع نيقية ٣٢٥ م وما استكمله مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ م .

---

(1) مس بيشوي كامل . القديس كيرلس الكبير ص ١٢٠ ، وراجع الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٣٠ .

(2) حيث إن البابا كيرلس كان يمثل السلطة الدينية في أعلى قمتها بينما نسطور كان يستند على علاقته بالإمبراطور وضعف شخصيته حتى أنه نجح في استثارته أول الأمر ضد البابا كيرلس الكبير .

(3) هذا المجمع لم يحضره نسطور ولم توجه الدعوة إليه لحضوره ، وربما لو وجهت إليه ورفض الحضور لكان ذلك من الوثائق التاريخية .

(4) فكأن عملية الإدانة لنسطور كانت سابقة على التحقيق معه وسماع وجهة نظره فيما نسب إليه وهذا مما يفقد تلك القرارات قوتها ، ويسقط عنها حيدتها .

٣ – التأكيد على أن السيدة العذراء مريم والدة الإله ، وأن ذلك عقيدة الكنيسة [١] .

وحتى يضمن البابا ذيوع تلك القرارات ويدفع بها في وجه نسطور فقد بعث بها إلى جميع أساقفة العالم بحيث يتعرفون على الجهد الذي قام به البابا في حفظ الإيمان المسيحي وحمايته .

المجمع الثاني : مجمع روما الإقليمي .

أراد كيرلس تحقيق الانتصار العام على نسطور وبخاصة بعد أن شعر بإمكانية تعاطف الإمبراطور معه ، وهذا من شأنه أن يضيق المساحة على الإمبراطور بعد أن ضيقها على نسطور ، فصارع إلى مكاتبة كلستينوس الأول أسقف روما بما حدث من بدعة نسطور وخطورتها على الإيمان المسيحي ودعم ذلك بوثائق اعتبرها قاضية في المسألة ومثبتة فساد آراء نسطور وجماعته .

لقد كان البابا حريصا على فضح نسطور من كل ناحية بدليل أنه وصف آراء نسطور بالبدعة ووصف نسطور نفسه بالهرطقة والتجديف ، وهذا من شأنه إسقاط منزلة نسطور في نفوس الشعب ، وفي نفس الوقت كانت غايته سبق الأحداث بحيث لا يقع أثقف روما في خضاع رسائل نسطور [٢] ، وحتى لا يغضب أسقف روما البابا كيرلس عقد على الفور

---

(1) أمير نصر . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٣٢ .

(2) حاول نسطور أن يضمن وقوف أسقف روما إلى جانبه ، لما بعث له بالعديد من الرسائل الشخصية حتى يظهر صوره على كيرلس نظرا لأن الكنيسة في روما كاثوليكية بينما هي في الإسكندرية أرثوذكسية .

مجمعا إقليميا هو الآخر في روما حضره جميع أساقفته وظلوا مجتمعين يتناقشون في رسالة البابا كيرلس المتعلقة بنسطور وبدعته ، وكان ذلك نفس العام ٤٣٠ م ، وبناء عليه صار نسطور يحاكم من قبل خصومه دون أن يتمكن من عرض وجهة نظره ، أو الدفاع عنها [١] .

من الملاحظ أن مجمع روما انصب أساسا على ما جاء في رسالة البابا كيرلس ، وبالتالي لم يخرج بقرارات وإنما هو تعبئة لا شعوريا بالعداء على شخصية نسطور ، وقد عبر عن ذلك الكتاب الذي بعث به أسقف روما إلى البابا كيرلس ، جاء فيه بعد اجتماعنا المقدس أعطينا نسطور فرصة لمدة عشرة أيام من تاريخ استلامه قرار مجمع روما ليرجع عن تعاليمه ومعتقده وإلا يكون محروما ومقطوعا من شركة الكنيسة [٢] .

لم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما جاء في رسالة خاصة من أسقف روما إلى البابا كيرلس يقول فيها : نحن نفرح من يقظتكم التي تعبر عن تقواكم ودفاعكم عن التعليم المستمر ، ونخبرك كمدافع قوي جدا لتثبيت الإيمان أن كل شيء كتبته قداستكم بخصوص هذا الأمر قد سلم إلينا [٣] .

في نفس الوقت سعى بابا روما في إرسال قرار كنيسته إلى القسطنطينية في ١١ أغسطس سنة ٤٣٠ م حتى يسلم لنسطور ، بحيث يرجع عن الآراء التي قال بها ويعلن تخليه عنها والتزامه بما جاء في

---

(1) وهذا مما يفقد الإنسان أبسط حقوقه في التفكير والتعبير والدفاع عن نفسه في مقابلة التهم التي تنسب إليه وهي حقوق فرضتها الشريعة الإلهية ، وحرمتها المسيحية .

(2) راجع رسائل القديس كيرلس جـ ٢ الرسالة رقم ١١ ص ١٣ ، ط : مركز دراسات الآباء

(3) أمير نصر . الكنيسة تواجة الهراطقة ص ١٣٣ .

قرار مجمع الإسكندرية وروما بحيث لا يقع عليه ما هدد به .

في ذات الوقت سارع كيرلس بالكتابة إلى الإمبراطور وزوجته وأخواته يشرح لهم إيمان الكنيسة في التجسد ويؤكد لهم أن العذراء مريم هي والدة الإله ، وكانت غايته من ذلك إبعاد الإمبراطور عن حماية نسطور ، وبخاصة بعدما تبين له أن نسطور لم يستجب لما كتبوا ولم يتوقف عن إذاعة الآراء التي يعتقدها وهذا من شأنه – من وجهة نظر كيرلس – أن يفتح الباب لتناول العقائد الدينية في صورة نقدية أو شكلية.

من اليسير القول بأن نسطور كانت ثقته في الإمبراطور كبيرة حتى ظن أنه سيقف معه بحيث يكون هذا النديم له ، ولكن للسياسة حسابات أخرى يمكن التعرف عليها مما نطالعه أو نراه في هذا الجانب من حياة الأمم والشعوب .

وبناء عليه لم يستجب نسطور ولم تتوقف عمليات إدانته .

المجمع الثالث : مجمع الإسكندرية الثاني .

لما رفض نسطور النصائح التي أسديت له ووجد البابا كيرلس أن الوقت يمر يحمل الخطر ضد المسيحية بناء على ما يقوله نسطور فقد سارع هذا البابا إلى عقد مجمع إقليمي آخر لأساقفة كنيسة الإسكندرية في ٣٠ نوفمبر ٤٣٠ م ، وانتهى إلى جملة من القرارات المنعية والقمعية ، من أبرزها التمسك بقرارات المجامع السابقة بالنسبة إلى نسطور ومطالبته بالتوقيع على رسالة البابا كيرلس والتهم التي صدرت عنه ، والاعتذار للجميع عن كل ما صدر بجانب الحديث عن العقيدة المسيحية باحترام شديد[1] ، وبناء عليه فقد بات الحديث عن مجمع الإسكندرية الثاني ضد

---

(1) د / عزيز سوريال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٩ ، وراجه . دور وعلاقات الكنيسة القبطية د / جلال إبراهيم

نسطور من أكثر المجامع قسوة وخروجا على المألوف ، في نفس الوقت ازدادت عمليات الضغط على القيادة السياسية المتمثلة في الإمبراطور ، وبخاصة بعد أن صاغ كيرلس اثنى عشر مسألة اعتبرها خطايا نسطور ويجب محاكمته عليها نظرا لارتباطها بالعقائد المسيحية ، وفي ذات الوقت اتهم نسطور البابا كيرلس بأنه ليس سوى مصري عنيد وفرعون طاغية يجب التغاضي عن نصائحه ، ولا يمكن أن تستمر هذه المساجلة بين نسطور وكيرلس إلى غير نهاية ، فسارع كيرلس بإرسال جملة من الدعوات يلتمس فيها من الإمبراطور الدعوة لعقد مجمع عام توضع فيه حلول عملية لهذه المشكلة ، فكان ذلك مدعى لحضور مجمع عام تتم فيه الإجراءات الكفيلة ببقاء الإيمان المسيحي في النفوس [١] .

المجمع الرابع : مجمع أفسس .

وصلت رسالة كيرلس إلى الإمبراطور الذي سئم الجدل وضاقت نفسه بالمشكلات القائمة وصارت لديه رغبة ملحة لإنهاء هذا النزاع على ناحية مقبولة تحفظ له حقه الإمبراطوري بغض النظر على ما يترتب على هؤلاء الأشخاص ، ومن ثم قرر انعقاد المؤتمر في مدينة أفسس في أيام الخمسين المقدسة من السنة التالية ، وذلك في عام ٤٣١ م [٢] .

وحتى يضمن عدم تخلف أي من القسس فقد أرسل دعوته إلى جميع أساقفة العالم لحضور هذا المجمع في ذات المدينة على أن يبدأ أول أعماله يوم عيد حلول الروح القدس الموافق ٧ يونيو عام ٤٣١ م . وقد أتبع هذا القرار بالتحذير ضد أي تأخير أو تخلف عن الحضور ،

يوسف ، ط : الأولى ص ٢٨٧ .

(1) راجع الأمير نصر . الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٣٧ ، د / عزيز سوربال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٣٣٩ .

(2) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٩١ .

والمعروف أن دعْوة كهذه لا يمكن التخلف عنها . لأن التأخير عنها أبسط عقوباته حذف المتأخر من العمل الدعوي .

لقد كثرت المسائل التاريخية حول الاستعدادت لانعقاد المؤتمر بعضها يمكن قبوله والبعض الآخر ليس من السهل الإصغاء إليه ونظرا لأنها مسائل تاريخية فسوف أحيل إلى مصادرها [١] .

وعندما انعقد المجمع بدت وجهات نظر متخالفة بين الحاضرين إذ ظهر فيهم مؤيدون لنسطور وآرائه ورافضون لهما ، وكانت أعداد الطرفين أول الأمر توشك أن تكون متقاربة ، لكن الغلبة تجيء دائما مع من يملك سلطة اتخاذ القرار وهو المقصود بالقوة ، وحيث قد وقع التلاحي بين الفريقين واستمر عدة أيام دون أن يحرز أحدهما الانتصار الكامل على الآخر ، فقد بات من الضروري على الإمبراطور ممارسة الأعمال التي من شأنها تحجيم النسطورية وإبقاء خصومها وهذا ما تعبر عنه سير الأحداث التي انطلقت بين الفريقين [٢] .

انتهى هذا المجمع بقرارات خلع نسطور من عمله الدعوي ونفيه إلى الواحات الليبية ، بل إن هذا النفي قد صحبه الكثير من المعاناة وبخاصة تلك التي تصدر عن القبائل البربرية الآتية من الجنوب ، وتم نقله إلى أخميم حيث سمح له الحاكم الإمبرطوري للإقليم بالمكوث هناك، وصار مهددا بالحرق على يد السلطة السياسية متى رأت ذلك ، يقول عزيز سوريال : " لقد حاول نسطور الدفاع عن نفسه لكنه لم يتمكن لأن

---

(1) راجع رسائل القديس كيرلس جـ ١ الرسائل من ١١ – ١٧ ، الكنيسة تواجه الهراطقة من ١٣٦ – ١٤٠ ، واللاهوت المقارن ص ١٩١ ، وتاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ ، ٢٣٩

(2) كل من الفريقين يسيء الظن بالآخر ، ويستدعي السلطة السياسية عليه ويتخذ من أحكام التكفير والتبديع للطرف الآخر وسيلة قهر ، ومن ثم بات القرار بعيدا عنهما وإن كان يطبق رغما عنهما وذلك قمة المأساة .

أحكام العامة تكون هي الغالبة " .

أخلص مما سلف إلي أن النسطورية قد وجدت تحت غطاء فكري، وأنها توارت تحت ضربات التوجهات الدينية ، فصار ذلك من العلامات الدالة على أن الفكر إذا حورب بالدين فربما سقطا معا [١] .

أجل تمسك الكثيرون ممن كانوا يقاسمون نسطور أفكاره بالمبادئ التي أذيعت عنه ، ونسبت فيما بعد إليه ، ثم أخذوا في بناء تلك الأفكار من الناحية التنظيمية حتى إذا استوت على سوقها أعلنوا تكوينهم الكنيسة النسطورية ، ومنذ ذلك التاريخ ينسب إلى تلك المبادئ والأفكار بل والمعتقدات ويوصف بها ، ومن هنا باتت النسطورية كنيسة مستقلة ، ومذهب موجود في المسيحية يؤخذ منه ويرد عليه حتى كثر أتباع النسطورية ، وصار كل من يعتقد تلك الأفكار والمبادئ يصح تصنيفه بأنه نسطور أو واحد من شعب الكنيسة النسطورية .

ويذكر د / ملاك إبراهيم أن الفكر النسطوري لم يقتصر دوره التأثيري على قيام كنيسة نسطورية ، ولكنه لعب دورا كبيرا فيما حل بالكنيسة من انقسامات ، كما كان للنسطورية أثرها في نشاط وازدهار الأدب السرياني والرهبنة النسطورية ، حتى إن النسطورية في فارس نمت كنيستها وازدهرت ، وكانت مكانا عظيما للديرة [٢] وأرسلت إرساليات إلى الهند والصين التي حفظته لمئات السنين " [٣] .

ويصور ول ديورانت تلك النهاية قائلاً : " سمح لنسطوريوس أن

---

(1) وهذا الحكم يجري في أغلب الديانات الوضعية والأخرى التي لعب فيها خيال أصحابها ، وتحول بها من أصول سماوية إلى قواعد فكرية تقبل الصواب والخطأ كما يأتيها كل من الزيادة والنقصان .

(2) **الديرية** : مدرسة أو نظام تعليمي لتخريج قادة الأديرة من الناحية الإدارية والرعوية التي تحتاج إليها تلك الأنظمة .

(3) د / ملاك إبراهيم يوسف . دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي جـ ١ ص ٣٠٨ .

يرتحل إلى أنطاكية ، وأخيرا نفاه الإمبراطور ثيودرتيوس الثاني إلى واحة في صحراء ليبيا بقي فيها سنين كثيرة فأشفقت عليه حاشية الإمبراطور في الدولة الشرقية فبعثت إليه بعفو إمبراطوري ، فلما جاءه الرسول وجده يحتضر ، وتوفي في سنة ٤٥١ م وانتقل أتباعه من بعده إلى شرقي سوريا وشيدوا لهم كنائس وأنشأوا مدرسة لتعليم مذهبهم في الرها ، وترجموا التوراة ، وكتب أرسطو وجاليوس إلى اللغة السريانية"[١] .

الفصل الثاني

النسطورية الحديثة "نسطور الحكيم"

لما كان النساطرة يمثلون نوعا من الضغط السياسي من خلال المنظومة الدينية فقد وقف الكثيرون من الزعماء الإمبراطوريين في وجوههم وحاولوا التخلص منهم حتى إن طائفتهم قد نالها الكثير من الوهن والضعف ، وقد أدى بها ذلك إلى التشتت حتى بات الحديث عنها ذكرى بعد أثر ، وظل حالهم كذلك حتى بدا فيهم نسطور الحكيم الذي قلب الأوضاع وأعاد اسم النسطورية إلى الأسماع والأذهان ، وقدم إليها دعما متواصلا فأحيا ما اندثر منها ، وصارت النسطورية الجديدة تعلن عن نفسها .

فمن هو نسطور الحكيم ، وما الزمن الذي وجد فيه ، والمكان الذي أعلن عن نفسه من خلال الأفكار والمبادئ التي قال بها ، وصارت عقائد للنسطورية الجديدة تطبق حتى اليوم ، ذلك ما سوف أتناوله من

---

(1) ول ديورانت . قصة الحضارة قيصر والمسيح – المجلد السادس جـ ١٢ عصر الإيمان ص ١٠١ ، ط : مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م .

خلال ما يلي :

أولاً : اسمه :

ذكر العلامة الشهرستاني أنه " نسطور الحكيم " [١] وبناء عليه يكون هذا الاسم مما لحق بذات الشخص دون احتياج لشيء آخر ، ويعتقد ابن القيم وغيره أن نسطور الحكيم هذا هو ابن صرما مطرن نصيبين الذي أعاد فكر نسطور القديم وأحيا النسطورية [٢] ، وبناء عليه فإن نسطور الحكيم هذا هو غير نسطوريوس الذي عين بطريكا للقسطنطينية عام ٤٢٨ م في زمن تذوس من قسطنطين فم الذهب ، نظراً لما بينهما من فارق زمني طويل [٣] .

ثانياً : زمان وجـــوده :

يذهب الشهرستاني إلى أنه ظهر في زمن الخليفة العباس المأمون[٤] ، ولما كان الخليفة أمير المؤمنين المأمون أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد [٥] الذي ولد ببغداد ليلة النصف من ربيع الأول سنة

---

(1) الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٩ ، ت الأستاذ / عبد العزيز محمد الوكيل ، ط : الحلبي ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

(2) راجع لابن تيمية . **الجواب** الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ ، وابن القيم . إغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .
وراجع العلامة ابن القيم هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٧٩ ، ط : الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٣٩٦ هـ .

(3) راجع منهج الفخري في دراسة الأديان والفرق ، مع تحقيق مخطوطة تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان . رسالة ماجستير إعداد / محمد عبد الكريم أحمد عبد الكريم ص ٣٧٦ - كلية دار العلوم - بالقاهرة ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

(4) الشهرستاني جـ ٢ ص ٢٩ .

(5) كناه أبوه بأبي العباس ، وبعد موت أبيه تكنى بأبي جعفر ، وهي كنية الرشيد والمنصور . راجع للشيخ محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمداني - الأنباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٦ ، ت قاسم السمرائي ، ط : دار الآفاق العربية - الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

١٧٠ هـ سبعين ومائة من الهجرة [١] .

فإذا علمنا أن المأمون تقلد الخلافة وسنه سبع وعشرين سنة ، فمعنى ذلك أنه ولي الخلافة في القرن التاسع الميلادي ، وظهور نسطور القديم كان في القرن الرابع والخامس الميلادي ، ولا يعقل أن يكون نسطور القديم هو نسطور الحكيم [٢] ، وبناء عليه فإن ما ذكره الشهرستاني من كون نسطور الحكيم قد ظهر في زمن المأمون يمكن حمله على الحقيقة ، وليس بحاجة إلى النيل منه ، أو الطعن عليه ، وبخاصة أنه قد وثق نقله وعرض مذهب نسطور الحكيم ولم يتعرض لنسطور الراهب ، وتكون عملية اتهام الشهرستاني بالنقل غير السليم لم تنل شيئا من القبول ، والاعتماد على ما نقله صاحب فجر الإسلام لهذا الشأن يمثل قفزاً على النتائج من غير وقوف على الأسباب [٣].

وسواء أكان الذي نقل النسطورية من صورتها القديمة إلى الجديدة هو نسطور الحكيم ، أم غيره ، فإن الذي أؤكد عليه هو ظهور شخصية جديدة في تلك الفترة استطاع أن يعيد مقالة نسطور القديم ويضيف إليها ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " كانت مقالة نسطور قد اندثرت فأحياها من بعده بزمن طويل مطرن نصيين في عهد بوسطيانوس ملك الروم ، وقباذ ابن فيروز ملك الفرس وبثها في المشرق" [٤] .

---

(1) وهي الليلية التي استخلف فيها الرشيد .

(2) حيث إن مطلع القرن التاسع الميلادي كان يوافق آخر المحرم من عام ١٩٧ هـ - ٨١٢ م راجع ويستنفلد . جدول السنين الهجرية بأيامها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها . ص ٢٤ ، ت / عبد المنعم ماجد عبد المحسن رمضان - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ م.

(3) فعل ذلك ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ جـ ١ ص ٣٣٢ ، حيث اتهم الشهرستاني بالجهل ولسنا نوافقه على ذلك.

(4) ابن تيمية الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ .

ولا يخفي ول ديورانت إعجابه من ظهور النسطورية في ذلك الوقت ، حيث يؤكد على أن وجودهم الجديد مثل حركة نقل نوعية عبرت عن أفكار تلك الطائفة [١] .

ثالثاً : مكـــان ظهـــورهم :

يذكر كثير من المؤرخين أن ظهورها " أي النسطورية " قد ابتدأ من منطقة نصيبين ، ثم امتد في المشرق وبخاصة أرض فارس والعراق والموصل والفرات والجزيرة [٢] .

وقد تكاثر النسطوريون فيما بعد ، وإن كان ازدهارهم في عهد الخلفاء العباسيين مما لا يخفى أمره ، ويذكر عزيز سوريال : أن هذه المنطقة التي انتشر فيها فكر النسطورية قد نشأ عنه تقويم نسطوري ، فأقام بالدير النسطوري ١٦٠ " مائة وستون " راهبا ، وصار له ٤٠٠ " أربعمائة " رأس من الغنم وخمسة مطاحن ، ووقفت عليه خمس قرى ، وأنشأ له مدرسة عليا لتعليم الفكر النسطوري والعلماني [٣].

وبعد وقوع الاضطهاد عليهم من الإمبراطور زينون انتقلوا بمدارسهم التعليمية إلى فارس ، بل صارت مدرسة نصيبين هي صاحبة الأثر الأعلى ، ونالت تعاطفا كبيرا من الجماهير التي عز عليها ما يقع على النساطرة من اضطهاد ومطاردة ، وقد تكاثرت الأفكار النسطورية " وتكونت جماعات تعتقد الفكر النسطوري في كل من بلخ وسمرقند وفي الهند والصين ، ولا يزالون حتى الآن يعيشون جماعات متفرقة في آسيا،

---

(1) راجع ول ديورانت . قصة الحضارة المجلد ٦ جـ ١٢ عصر الإيمان ص ١٠١ .

(2) راجع ابن تيمية . الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ .

(3) عزيز سوريال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ١٦٩ .

ولا زالوا ينكرون عبادة مريم " [١] .

وما دامت جماعاتهم قد تزايدت وتنامت في بلدان كثيرة ، فقد واكب ذلك التنامي نوع من العداء لهم بجانب العطف عليهم ، وكلما تم التضييق عليهم من قبل خصومهم جاء التعاطف معهم من قبل أفراد الشعب ، وهكذا بقي النساطرة إلى يومنا هذا ، سواء أكان أمرهم قائما على ما تركه نسطور القديم الراهب ، أم طرأ عليه تعديل وأدخل إليه إضافات [٢] .

وأخلص مما سلف إلى أن النسطورية الجديدة لها شخص يمثل الرأس الاعتباري وهو نسطور الحكيم لدى الشهرستاني ومن تابعه ، أو من صرما راهب نصيبين على ما ذكره ابن تيمية ومن وافقه ، كما أن لها زمن ظهور هو مطلع القرن التاسع الميلادي ٨١٢ م الموافق ١٩٨ هـ ، وأن المكان الذي انطلقت منه هو منطقة نصيبين ، ثم تمددت في كثير من البلاد التي أمكنها الوصول إليها [٣] .

ومهما يكن من شأن فإن النسطورية الجديدة قد استطاعت إفراز من حملوا آراءها ، ودافعوا عنها ، وصار فيهم مفكرون نساطرة شغلوا أنماط الحياة المختلفة ، وساهموا بقدر كبير في كل ما يتعلق بها ، واستطاعوا التغلغل إلى نفوس العديد من أفراد المجتمعات التي عاشوا بداخلها وكان لهم دور بارز في توجيه هؤلاء إلى الفكر النسطوري بوجه عام . يقول ملاك إبراهيم : " إذا كان الفكر النسطوري المحض قد تركز

---

(1) ول ديورانت . قصة الحضارة . المجلد السادس جـ ١٢ عصر الإيمان ص ١٠١ .

(2) لأن عمليات التعديل والإضافة من طبيعة الفكر الإنساني ، ولذا فما من شعب رصدت له أفكار إلا تم التعديل عليها في حدود ما هو متاح لمن عدلوا .

(3) وبهذا تفترقت النسطورية الجديدة عن القديمة ، بحيث لا يكون من الصواب اعتبارهما أمرا واحدا ، وبخاصة أن الفترة الزمانية طويلة ولا يمكن إسقاطها من الحسبان .

في الشرق في الكنيسة النسطورية إلا أنه قد امتد بتأثره إلى الغرب فيما يعرف بمشكلة التبني التي اوجدت لها أرضا خصبة في أسبانيا " [١] .

وهذا ما يؤكد على أن الفكر النسطوري استطاع أن يؤدي أدوارا متعددة داخل الإطار المسيحي ، وهذا مما يجعل تناول المبادئ والأفكار ، أو العقائد والآراء التي قال بها النسطوريون في الظهور الثاني ، بحيث يمكن التوقف على الزيادات ، أو الإضافات التي قام بها المتأخرون على ما تركه السابقون .

رابعاً : أهم المبادئ والمعتقدات .

تعتبر المبادئ التي قال بها النسطورية الجديدة امتداداً للقديمة ، وبالتالي فالمبادئ الجديدة المفروض أنها ذاتها المبادئ القديمة ، ولكن المؤرخين يحكون أمرا آخر ، فينقل ابن تيمية عن سعيد بن البطريق القول : " بأن النسطورية في عصرنا هذا خالفوا قول نسطور القديم " [٢]، وبناء عليه فقد صار الوقوف على مبادئهم من الناحية التنظيمية يقوم على **ما يلي** :

المبدأ الأول : أن المسيح جوهران .

المبدأ الثاني : أن المسيح أقنومان إله تام بأقنومه وجوهره .

المبدأ الثالث : أن المسيح إنسان تام بأقنومه وجوهره .

المبدأ الرابع : أن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته .

---

(1) ملاك إبراهيم يوسف . دور وعلاقات الكنيسة القبطية ص ٣٠٩ .

(2) راجع لابن تيمية الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ .

يقول الشهرستاني : " إن نسطور الحكيم هذا تصرف في الأناجيل بحكم رأيه حيث قال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة هي الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام ، لا على طريق الامتزاج وإنما كإشراق الشمس في كوة على بلورة ، وظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم " [١] ويفترق هذا الاتحاد الذي تم بين الكلمة وجسد عيسى عليه السلام عن الامتزاج الذي قالت به طائفة المكانية " وهم الذين يقولون إن اتحاد الله تعالى بعيسى كان باقيا على حالة صلبه " [٢] ، وهم يقولون إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح ، وترعرعت بناسوته ، يقصدون بذلك أقنوم العلم ، وروح القدس ويعتبرونها أقنوم الحياة ، فالكلمة عندهم هي أقنوم العلم ، بينما روح القدس هي أقنوم الحياة [٣] ، وبناء على ذلك مازجت الكلمة جسد المسيح كما يمازج الخمر اللبن .

كذلك افترقوا في قولهم باتحاد الكلمة بجسد عيسى ، أو العلم بالحياة بعيدا عن طريق الظهور به ، كما ذهب إليه اليعقوبيون ، وهم أصحاب يعقوب البرزعاني الذين قالوا بالأقانيم الثلاثة .

يقول الفخر الرازي : " اليعقوبية يقولون إن روح الباري اختلط ببدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء باللبن " [٤] .

رأي ابن حزم

وقد نبه ابن حزم إلى أن مبادئ النسطورية القديمة والجديدة يمكن

---

(1) الشهرستاني . الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٩ .

(2) الفخر الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٣١ ، ومعه كتاب المشرق الأمين ، ت / طه عبد الرؤف سعد ، ومصطفى الهواري – مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

(3) إذا كان المراد بأقنوم الكلمة هو العلم ، وبأقنوم روح القدس الحياة ، فأين هو الأقنوم الثالث الذي تمسكوا بـه ، وأحـالوا عليه إن لم يكن المركب من الكلمة والروح القدس ، وهذا مما يعطي الفرصة لتوجيه النقد المتواصل إليهم .

(4) الفخر الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٣٢ .

ضبطها في عدة مبادئ منها

المبدأ الأول: أن الله ثلاثة أسباب : " أب ، وابن ، وروح القدس " كلها لم تزل.

المبدأ الثاني : أن عيسى عليه السلام إله تام كله ، وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر .

المبدأ الثالث : أن الإنسان من عيسى هو الذي صلب وقتل ، أما الإله فلم ينله شيء من ذلك .

المبدأ الرابع : أن مريم ولدت الإله والإنسان ، وأنهما معا شيء واحد ابن الله

المبدأ الخامس : أن مريم لم تلد الإله ، وإنما ولدت الإنسان باعتبار أن ذلك مما تنفرد به النسطورية المتأخرة على النسطورية المتقدمة [١].

من جملة المبادئ التي صاغها المفكرون حول النسطورية ، يمكن القول بأنها تعبر عن وجهة نظرهم ، وتبقى الفرق التي تفرعت عن النسطورية ممثلة لها على ناحية من النوحي ، لكن هذه المبادئ تمت مناقشتها لدى غير النساطرة من المسيحيين تارة ، ومن المسلمين تارات، ونظرا لما فيها من أوجه القصور فقد بات التعرض لها ، والنيل منها أمرا يشبه أن يكون مكررا ، بدليل ما وجهه إليها ابن البطريق من نقودات [٢] أتت عليها من كل ناحية .

كما أن ابن تيمية هو الآخر قد تناولها بالنقد والتحليل ، فاستغرق

---

(1) العلامة ابن حزم . الفصل جـ ١ ص ٥٢ وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني – مكتبة السلام العالمية – بالقاهرة .

(2) راجع ابن تيمية . الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ ، ٣٩ .

حديثه عنها العديد من الصفحات عرضا ومناقشة [١] .

من المؤكد أن الحركة النسطورية الجديدة انضم إليها الكثيرون ممن استهوتهم تلك الآراء بدليل انتشارهم في أماكن كثيرة مما تدين بالمسيحية ، بجانب أنهم قاموا بحركة ترجمة واسعة من اليونانية والسريانية والعكس ، وكذلك " عمل النساطرة بحكم إقامتهم في البلاد الفارسية ، واتصالهم بثقافتها على نقل الثقافة اليهودية إلى اللغة السريانية وما يتصل منها بالموضوعات الدينية وما لا يتصل ، ونظرا لشعورهم بأنهم طائفة مستهدفة فقد أكثروا من أنشطتهم التبشيرية حتى عرفوا بها"[٢].

يحاول الأرثوذكس والكاثوليك التبرؤ من عملية التبشير التي يقوم بها رجالهم ، بحيث يلصقونها بالنساطرة ، من باب الكيد لهم ، أو النيل منهم ، وفي نفس الوقت لا يدخرون وسعا في التشهير بهم [٣] ، مع أنهم يدعون أن الكنيسة النسطورية ساهمت في التنوير الحضاري ، بدليل أن مدينة نصيبين معقل النساطرة الجدد قد شهدت ميلاد أول جامعة لاهوتية ، مما أثار إعجاب الكثيرين ، وبخاصة أن خريجي هذه الجامعة من النساطرة هم معلمو الغرب الذين نقلوا التراث اليوناني إلى الغرب في العصور الوسطى [٤] .

المبدأ الأول : المسيح جوهران :

---

(1) راجع ابن تيمية . الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٤ – ١٢٠ .

(2) د / ملاك إبراهيم . دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي جـ ١ ص ٣١٠ ، ٣١١ .

(3) يظهر ذلك في المؤلفات الأرثوذكسية على وجه الخصوص . راجع : للأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٨٠ – ٢٠٢ ، ود / عزيز سوريال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٤ – ٢٦٥ .

(4) د / عزيز سوريال . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٤٤ .

[أ] العـــــرض .

ومعنى ذلك أنهم يوافقون النسطورية القديمة في هذا المبدأ ، وإذا كان الأقدمون من النساطرة قد تمسكوا بهذا المبدأ دفعا لفكرة أن المسيح طبيعة واحدة مع الله ، فإن هذا المبدأ تمسك به النساطرة على وجه العموم .

ويرى نسطور الحكيم أن هذا الجوهر المادي يمكن أن يصير مجردا في لحظة من اللحظات ، وبخاصة تلك التي يختفي فيها الجوهر المادي الناسوتي ، ليبقى الجوهر اللاهوتي في صورته التدريجية ، التي تبدأ في شكل وأشكال قابلة للتجريب عليها [١] .

في نفس الوقت فإن هذا الجوهر يمكن أن يتحول إلى صورة تجريدية نظرا لغلبة النشاط اللاهوتي على الآخر الجسماني ، وبناء عليه ففكرة الجوهر قائمة لدى النسطورية الحديثة من خلال هذين التصورين .

يذكر الدكتور عزيز سوربال عطية : " أن هؤلاء النساطرة بذات المبدأ قد أضافوا إلى المسيحية ما لم يقل به أحد من قبل " [٢] .

أضف إلى ما سبق أن فكرة جوهرية المسيح ربما فهمت على ناحية مجازية بعيدة عن كل من التجريب والتجريد حين يصير المنتهى إليه ، فلا هو مادي يقبل التجريب ، ولا هو جوهر غير مادي ينطبق

---

(1) حيث تذكر نصوص كثيرة بأن يسوع المسيح لما قام من قبره وطار كحمامة في الفضاء ، وذهبت أمه ومعها المريمات بحيث يزرنا قبره ، ولما لم يجدنه بكت كلهن فنزل إليهن وقال أنا يسوع وهذه رجلي نجسوها ، وهذه قدمي فلمسوها لأن البار بالإيمان يحيى . راجع سيرة المسيح للدكتور / جورج فورد – كتاب القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ص ٢٢٨ ، ترجمة كنيسة قصر الدبارة – بالقاهرة ١٩٨٣ م

(2) د / عزيز سوربال عطية – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٧٦ .

عليه التجريد ، وبخاصة أن ذلك سيتم في نهاية المجيء الأول وبداية المجيء الثاني [١] .

فإذا تمت مراجعة هذه الفكرة بما تم عرضه داخل النسطورية الحديثة ، تبين وجود نوع من التطور فيها على ناحية مجازية ، حيث يقولون إن المسيح الذي هو الله إنسان كامل وإله كامل وجوهر كامل دون تحديد لشيء من ذلك ، ويجب أن نقف أمام جوهر المسيح باحترام كامل، لأننا لا نعرف حقيقة جوهره ، ولكننا نؤمن به [٢] ، ويستدلون على هذا التصور بما ورد في كورنثوس [٣] حيث يقول : ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس ، فأنواع مواهبه موجودة ، ولكن الروح واحد وأن خدم موجودة ولكن لرب واحد ، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد هو الذي يعمل الكل في الكل ولكنه للكل واحد [٤] .

يقول أصحاب التفسير التطبيقي إن جوهر المسيح يملك مواهب روحية يمكنه إعطاؤها لجماعات المؤمنين ، وكلها يكمل بعضها البعض، وهي في ذات الوقت رمز للقوة الروحية [٥] .

لا شك أن هذه الفكرة " جوهرية المسيح " التي قال بها أصحاب النسطورية الحديثة قد وجدت من يتبناها ، ويعبر عنها في لغة حديثة معاصرة ، يدل على ذلك ما ذهب إليه صاحب سيرة المسيح حينما قال : إن جوهر المسيح غير مدرك بصورة من الصور مع أننا نعتقد بوجوده

---

(1) راجع للقمص ميخائيل جورجي – طبيعة المسيح ص ٨٥ ، ٨٦ ، ط : دار الجيل ١٩٨٧ م

(2) راجع سيرة المسيح ص ٤٣٩ .

(3) هي إحدى رسالتين كتبتا عن طريق مرقص إلى أهل تلك المدينة " كورنثوس " سجلها بولس الذي ادعى أولاً أنه رسول يسوع بمشيئة الله ، وقد شغلتا تسعة وعشرين إصحاحا من إصحاحات العهد الجديد – راجع الكتاب المقدس " العهد الجديد " ص ٢٦٨ – ٣٠٤ ، ط : دار الكتاب المقدس – بالقاهرة .

(4) " كورنثوس الأولى " الإصحاح الثاني عشر – فقرات ٣ / ٧ .

(5) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٢٤٤٩ ، ترجمة شركة ماستر ميديا – بالقاهرة – بدون تاريخ .

في كافة أوقات حياتنا ، فهو قائم في الكرازة ببشارة الملكوت ، ومحاربة إبليس وتحرير الناس من سكنهم فيهم ، وهو قائم أيضا في شفاء كل مرض ، أما يكفي هذا الإعلان أن المسيح جوهر يتحول إلى صورتين كل منهما لها استقلال تام ، وكل منهما لها اختلاط تام [١] .

من ثم يمكن القول بأن فكرة جوهرية المسيح في النسطورية الحديثة تقوم في حقيقتها على وجود جوهرين ، وهما في ذات الوقت جوهر واحد ، مما أدى بخصومهم إلى اتهامهم بأن عقائدهم غير مقبولة[٢].

ويمكن القول بأن وجود المسيح في جوهرين لدى النسطورية الحديثة مرده إلى ما يتردد بأن الروح القدس هو مظهر ذاتي متى سكن في أحد صار ابنا له أو بنتا ، وهنا يكون المسيح جوهرين ، أحدهما ساكن في المؤمن به من خلال الروح القدس . وثانيهما يبحث عن سكن ، وهذا مما تعترف به الدراسات الحديثة بالنسبة للمسيحية ، يقول أصحاب التفسير التطبيقي : " إن جميع المؤمنين قد اعتمدوا بالروح القدس ، فصاروا فيها أصحاب وحدة غالبة ، أكدها شخص المسيح نفسه الساكن في الروح القدس ، ثم يأتي من جانب يسوع الإله العديد من المواهب والاهتمامات الممثلة للجوهر الثاني ، وكلها ليس لها سوى هدف واحد ، هو اتحاد الإله بشعبه وخلوص شعبه إليه ، ثم يقولون : إذا كان الخادم من الله على حقيقة فإنه يعترف بأن المسيح ربا وله جوهران ، امتحن

---

(1) راجع سيرة المسيح ص ١٤٤ .

(2) راجع للقس / ماهر يونان عبد الله – الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ٤٨ .

حقيقتهم بفحص ما يعلمون عن المسيح " [١].

لقد اعتبر كل من اليعاقبة والعناصر الأرثوذكسية أن هذا المبدأ يخالف تماما ما عليه الرأي المسيحي ، ولكنهم في ذات الوقت يعترفون بأن النساطرة في مجملهم والمحدثين بصفة خاصة قد اشتهروا " بمهارات فنية نادرة وبعلمهم ، وتفوقهم الطبي ، ممثل التبشير الحديث عندهم رابطة العمل الديني ، بخدمات تعليمية وطبية مما كان له أعظم الأثر بين أمم المشرق ، وقد توافر من التوسع النسطوري الحديث وجود عدد كبير من العلماء كان عطاؤهم كبيرا " [٢] .

[ب] مناقشته .

من الواضح أن هذا المبدأ الذي قال به نسطور الحكيم إنما هو رجع صدى لما قال به سابقوه ، ولكنه حاول توظيفه بما يتفق مع طبيعة القرن الذي يعيش فيه ، وفي نفس الوقت يسعى لاكتساب أرضية جديدة في بلاد الله الواسعة ، مستغلا عناصر الامتيازات ، أو القدرات العقلية التي تميز بها هو ومن معه في مقابل زملائهم من المنغلقين ، لكن هذا لا يمنع من مناقشتهم فيه على الناحية الشرعية ، وسوف يكون ذلك من **خلال ما يلي:**

١ – ذكر آيات القرآن الكريم ، وما يتعلق بالله جل وعلا ذاتا وصفات وأفعالا تقريرا لا يحتاج معه إلى جدل ، تقريراً يعتمد على هدي الله ونور العقل المهتدى به ، ويقوم كلٌّ منهما في صورة واحدة تتكامل من حيث المعطي ، نظرا لقيام العقيدة على صحيح النقل وهداية العقل ، يقول

---

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص ٢٤٤٩ .

(2) د / عزيز سوربال – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٤٨ .

الإمام محمد عبده : " والذي علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد لا دين تفريق في القواعد ، العقل من أشد أعوانه ، والنقل من أقوى أركانه ، وما وراء ذلك فنزغات شياطين ، أو شهوات سلاطين ، والقرآن شاهد على كل بعمله ، قاض عليه في صوابه وخطئه " [١].

ومادام النقل قد قرر أن ذات الله تعالى لا تشبه شيئا من ذوات غيره في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [٢] ، فإن فكرة جوهرية الله لا تكون مقبولة من الناحية النقلية ، لأن الجوهر إن كان ماديا فهو محتاج إلى مكان ، والاحتياج نقص والنقص محال في حق الكريم المتعال [٣] .

وإن كان جوهرا بسيطا ، فإما أن يبلغ حد الجزء الذي لا ينقسم ، وهو الجوهر الفرد عند المتكلمين ، من حيث إنه أصغر جزء في الجوهر المادي المركب ، ولا يقبل الانقسام ، وهو حينئذ يحتاج إلى ما يتممه ، ويتركب معه ، ولا يكون إلها أبدا ، نظرا لاحتياجه إلى الأجزاء المتممة له [٤] .

وإن كان الجوهر بسيطا روحانيا ، كالعقول والنفوس المجردة ، فإنه يحتاج إلى ما يحل بها ، ومن ثم يكون له احتياج إلى المحل وذلك ينافي الاستغناء ، والله عز وجل هو الغني المستغني عما سواه ، يقول

---

(1) الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص ٣٦ ، تحقيق / محمد أبو ريه ، الطبعة الرابعة ، ط : دار المعارف بمصر ، وهي مأخوذة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ١٣١٥ هـ

(2) سورة الشورى الآية ١١ .

(3) لأن الجوهر المادي من طبيعته أنه يحتاج إلى مكان ، والمحتاج إلى مكان لا يكون مستغنيا أبدا .

(4) وروعي في إبطال الجوهر المادي وإطلاقه على الله الاحتياج إلى المكان ، وروعي في إبطال الجوهر المادي البسيط " الجوهر الفرد " احتياجه إلى باقي الأجزاء ، فاحتياج كل من الأجزاء يخالف الثاني .

الإمام الغزالي : " إن الغني هو الذي لا تعلق له بغيره ، لا في ذاته ولا في صفات ذاته ، بل يكون منزها عن العلاقة مع الأغيار ، فمن تعلقت ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج عن ذاته يتوقف عليه وجوده أو كماله فهو فقير محتاج إلى الغير ، ولا يتصور ذلك في الله تعالى " [١] .

٢ – أن فكرة الجوهر لم ترد على ناحية شرعية كاسم من أسماء الله ، لأن أسماءه تعالى توقيفية جاء بها الحديث الشريف [٢] وأشارت إليها الآيات القرآنية في مثل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [٣] وهذا من الإلحاد في أسمائه.

يقول الشيخ أحمد العقاد : " الأسماء الإلهية هي الأسماء الحسنى وعددها تسعة وتسعون اسما منها عشرة أسماء ذاتية كمالية ليس للعبد حظ في التخلق بها ، لأنها من خواص الحضرة العلية [٤] ، ومنها اسم الله ، واسم النور ، واسم القدوس . ومنها تسعة عشر أسماء جلالية [٥] ، وقد يكون للعبد حظ في التخلق بها والتحقق بسرها [٦] كالقهار والجبار والمنعم ، ومنها سبعون اسما جماليا [٧] كالرحيم والكريم والحليم [٨]

---

(1) الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي – المعتقد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ص ١٣٨ ، تحقيق الشيخ / محمد مصطفى أبو العلا ، ط : مكتبة الجندي – بالقاهرة ١٩٦٨ م

(2) جاءت الأحاديث النبوية بها ذكرا وعدا ، ومن ثم تكررت روايات الحديث التي بينتها على ناحية تفصيلية .

(3) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(4) وتسمى صفات الكمال من تلك الناحية .

(5) وهي التي تعرف بصفات الجلال .

(6) العارف بالله الشيخ أحمد سعد العقاد . الأنوار القدسية في شرح أسماء الله الحسنى وأسرارها الخفية ص ٢٧ ، تقديم د / عبد الحليم محمود ، ط : الشعب .

(7) وهي صفات الجمال .

(8) الشيخ / أحمد سعد العقاد . الأنوار القدسية في شرح أسماء الله الحسنى ص ٢٧ – ٣٠ ، تحقيق د / عبد الحليم محمود .

وليس من بينها اسم (الجوهر) .

بناء عليه فإن النصوص النقلية قاطعة بأن تسمية الله تعالى جوهرا لا تليق ، وأن التسمية به تخالف القواعد والأصول الشرعية .

٣ – أن فكرة ثنائية جوهرية المسيح التي قال بها النساطرة لو أخذت على أنها ثنائية روح وجسد كباقي الناس لكانت أمرا له قبول على ناحية نقلية ، أما لماذا ؟ فلأن الله خلق آدم عليه السلام من هذين العنصرين – عنصر الطين ، وعنصر الروح – وقد جاء ذلك في آيات كثيرة على نواح إجمالية أو تفصيلية ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، ثم كانت عملية الخلق المترتبة عن آدم وحده ، حيث خلق الله له زوجة ليسكن إليها ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴾ [٢] ، وبين جل شأنه أن عملية التناسل ذكر وأنثى من هذين المخلوقين الأولين – آدم وحواء – مما جرت به السنن الإلهية ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [٣] .

ولما أراد الله تعالى أن تتم القسمة العقلية [٤] في الموجودات الدالة على عظم قدرته ، ونافذ إرادته ، وبالغ حكمته خلق عيسى عليه السلام من

---

(1) سورة ص الآيتان ٧١ ، ٧٢ .

(2) سورة الأعراف الآية ١٨٩ .

(3) سورة النساء الآية ١ .

(4) القسمة العقلية في خلق الإنسان تدور في وجوه أربعة : الأول : آدم ، وهو الذي خلقه الله بلا أب أو أم . الثاني : بنو البشر ، الذين خلقهم الله من أب وأم . الثالث : حواء ، وهي التي خلقها الله من أب هو آدم بلا أم . الرابع : هو عيسى عليه السلام الذي خلقه الله من أم بلا أب فتمت بذلك القسمة العقلية . ولذا اعتبر البعض أن خلق عيسى عليه السلام على هذا النحو إنما هو علامة من علامات الساعة ، مستدلا على ذلك بقراءة فتح اللام الثانية في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف : ٦١] .

غير أب ، كما خلق حواء من غير أم ، وكما خلق آدم من غير أب ولا أم ، وإنما تم ذلك بقوله جل شأنه : ﴿ كُنْ ﴾ قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ ﴾ (١) .

٤ – إن وجود جوهرين في المسيح على النحو الذي جرت به السنن الإلهية ، إنما هو تأكيد على كونه بشرا مخلوقا لا بشرا خالقا ، لاستحالة أن يقع الخلق من البشر المخلوقين ، قال تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) .

يقول الشيخ رشيد رضا : " إن فكرة الطبيعة الثنائية في المسيح إنما هي من خلق الله تعالى لا من خلق غيره ، وأن كل إنسان عاقل لا يرتاب أن عقائد الإسلام من توحيد الله وتنزيهه عن كل نقص ، ووصفه بصفات الكمال ، والاستدلال عليها بالدلائل العقلية والعلمية الكونية لأبلغ دليل على أن دين الله هو الإسلام أعلى الكمال " (٣) .

وأقول : إن الثنائية تعني التركيب وكل مركب محتاج إلى أبعاضه أو أجزائه ، والاحتياج ينافي الغنى المطلق لله جل جلاله ، ومن ثم لا يكون المسيح إله كما يزعمون ، ثم إن التركيب إما أن يكون على سبيل الحلول ، أو الاتحاد وكلاهما باطل .

وبهذا أنتهي إلى أن المبدأ الذي قال به أصحاب النسطورية

---

(1) سورة آل عمران الآيتان ٥٩ ، ٦٠ .

(2) سورة لقمان الآية ١١ .

(3) الشيخ / محمد رشيد رضا – الوحي المحمدي ثبوت السنة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية في الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام ص٥٨ ، ط : الخامسة ، دار المنار – بالقاهرة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

الحديثة إنما هو صورة من صور الشرك لا علاقة له بالتوحيد ، وأن فكرة المجاز التي حاول متأخروهم اللجوء إليها حتى تدعم موقفهم ، إنما هي فكرة هشة ولا تدعمها نصوص من كتبهم كما لا تخدمها طبيعة أفكارهم .

المبدأ الثاني : أقنومية المسيح .

[أ] العـــــرض .

ومعنى هذا أن المسيح ليس إنسانا كما كان البعض يعتقد ، وإنما هو : " كلمة الله الساكن في يسوع المولود من مريم " [١] ، ومعنى هذا أنه ذو طبيعتين منفصلتين في يسوع ذاته .

ويذكر الشهرستاني أن نسطور الحكيم يرى أن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة هي : الوجود ، والعلم ، والحياة ، وهذه الفكرة الإقنومية تارة يقررونها بالله مباشرة ، وتارة يجعلونها من صفات المسيح على وجه العموم ، وفي بعض الأحيان يتحدثون عنها في صورة صحيحة ، وتارة أخرى يلتزمون المجاز ، وهم في كل أحوالهم لا يقدمون جديدا من حيث المضمون ، وإنما يقدمون صياغة لأفكارهم يتصورون أنها قد تعوق الدلائل التي قامت على إبطال هوسهم ، يدل عليه ما ذكره الشيخ الجزيري : " من أن النسطورية بصفة خاصة ، والمسيحيين بصفة عامة ، اعتقدوا أن ذات الله المقدسة ثلاثة أقانيم في جوهر واحد هي : الآب ، والابن ، والروح القدس ، ثم استعاضوا عنها بالوجود والعلم والحياة ، فقد أبدلوا ثالوثا مجسدا ، ووضعوا بدلا منه ثالوثا مجردا [٢] .

---

(1) د / عزيز سوريال عطية . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ .

(2) الشيخ / عبد الرحمن الجزيري . أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام ص ٢١٣ ، ط : الأولى ، مطبعة الإرشاد – بالقاهرة ١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م .

ومن البين أن المسيحيين يردون هذه الأفكار على ناحية واقعية بينما النساطرة المتأخرون أو النساطرة المحدثون يقررونها على وجه مجازي ، حيث يذكر الشهرستاني أن نسطور : " يعتقد أن الله واحد من حيث الجوهر له ثلاثة أقانيم هي الوجود ، والعلم ، والحياة " (١) .

وبناء عليه صارت النسطورية الحديثة تسعى لإيجاد صور من المجاز بحيث تؤول العقائد المسيحية التي لا تتفق مع العقل ، وهذا مما دعا مؤرخي المسيحية الأرثوذكسية إلى اتهام النساطرة الجدد بأن وجودهم لم يكن شرعيا ، لأنهم غيروا تعاليم المسيح وطعنوا في المسيحية " (٢) .

ثم أن النسطورية الحديثة انتقلت من تيار له توجه بذاته إلى تيار اختلطت آراؤه بآراء غيره ، فصارت الأرثوذكسية القائمة على المذهب التقوي تلتقى مع مطرودي النساطرة ، وهذا مما جعل الأفكار النسطورية ملقحة (٣).

ويذهب التقويون إلى أن الأخلاق الرفيعة تغني المشاعر الدينية عن ممارسة الطقوس الدينية ، فهم لا يرون مانعا من اتخاذ أي رأي ديني مادام ذلك يساهم في البناء الخلقي ، ويؤكد في ذات الوقت على حق الإنسان في اختيار أجمل الفضائل وأنبلها ، بل والتضحية في سبيل القيام بهذا الواجب .

ويعتقد عزيز سوربال أن " أسقف نصيبين النسطوري كان يملك القدرة على تحريك الاتجاهات اللاهوتية للجهة التي يريد ، ومن هنا تم التعامل معه

---

(1) الشهرستاني . الملل والنحل جـ ١ ص ٢٠٥ ، ط : ٢ ، ت / محمد بدران .

(2) د / عزيز سوربال عطية . تاريخ المسيحية الشرقية ص ٣٤١ .

(3) تلقيح الأفكار المراد به هنا وجود خليط بين ما قال به النساطرة المحدثون ، وما تردد صداه في أصحاب المذهب التقوي الذي استطاع أفراده نشر آرائهم في جرأة شديدة بعدما أسس هذا المذهب التقوي على أيدي الكثيرين ومنهم أسبز الفيلسوف . راجع د / نازلي إسماعيل حسين مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ص ٧ ، ط : دار الكتاب العربي ١٩٦٨ م والكتاب تأليف / عمانويل كانت – ترجمة وتقديم د / نازلي إسماعيل حسين .

لدى النساطرة على أنه مصلح ديني بينما هو بالنسبة للكنيسة الأرثوذكسية مهرطق ، لأنه قال بوجود أقنومين في يسوع المسيح يمكن أن يتحولا إلى ثلاثة أقانيم " (١) .

أجل ! من الواضح أن فكرة وجود أقنومين في المسيح لم تعجب أصحاب الاتحاد بين اللاهوت والناسوت التي يدين بها الأرثوذكس والكاثوليك أيضاً ، ومن هنا صبوا على النسطورية الحديثة غضبهم لأن فكرة الأقنومية الثنائية فيها استبدال لأقنوم ثالث نتج عن القول " لإنزال يسوع الناصري إلى مرتبة نبي أو إنسان قديس حل عليه أقنوم الكلمة ، بعد أن اختاره بسابق علمه وقواه " (٢) .

[ب] مناقشته :

ما من شك في أن كل فكرة أو مبدأ يتم عرضه لا يتضح أثره إلا بمناقشته على النواحي المختلفة ، وحتى تكون المسألة قائمة على نطاق بحثي موضوعي فإني أتناول هذا المبدأ من خلال ما يلي:

١ – أن العقائد التي قال بها نسطور القديم وعابتها عليه السلطة الدينية آنئذ من خلال مجمع أفسس الأول تلخصت في " رفض عقيدة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت واعتبار أن العلاقة بين اللاهوت والناسوت هي علاقة اتصال ، وكذلك اعتبار أن الكلمة هو ابن الله ، وأن يسوع هو ابن العذراء مريم ، وبالتالي وجود أقنومين هما من الله ومن الإنسان ، بجانب أن الإنسان يجب أن يعبد يسوع عبادة واحدة ، وفوق ذلك رفض تسمية العذراء بوالدة الإله وإنما هي أم المسيح ، بجانب أن الله ليس هو الفادي ، مما جعل الفداء يفقد قيمته وفاعليته ولا محدود به ،

---

(1) راجع للدكتور عزيز سوربال عطية – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(2) ماهر يونان عبد الله . الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ٤٨ .

وقد أدى ذلك إلى رفض الاتحاد الأقنومي " [١] .

٢ – أن أنصار النسطورية الحديثة تبنوا فكرة الأقانيم الثلاثة ، وليس فكرة الأقنومين ، فهم في الظاهر يتحدثون عن أقنومين اجتمعا في المسيح ، وفي تعليماتهم الرعوية يتمسكون بثلاثة أقانيم ، فأي الموقفين أصح عندهم ، هذا ما لا توجد إجابة محددة له [٢] .

٣ – أن فكرة الثنائية المثلثة تخالف المعقول ، وإذا كان النساطرة المحدثون قد لجأوا إلى المجاز ، فقالوا بوجود أقانيم غير حقيقية ، فإن هذا لا يحقق الهدف الذي سعوا إليه ، كل ما في الأمر أنه كشف عن طبيعة في تناول النصوص الدينية ذات توجهات فكرية ليس مسموحا بها داخل النمط الفكري لرجال الدين المسيحي الذين شعارهم خذ وأنت أعمى ، ما ذكره الرب لا يفصله إنسان كلمة الرب أكبر من عقل أي مفكر [٣] .

يقول د / علي جبر : أجمعوا على قضية خرافية هي خذ وأنت أعمى [٤] ، ويقول الإمام / محمد عبده : " كثيرا ما صرح الدين على لسان رؤسائه أنه عدو العقل ، نتائجه ومقدماته ، فكان جل ما في علوم الكلام تأويل وتفسير ، وإدهاش بالمعجزات ، أو الهاء بالخيالات ، يعلم ذلك من له إلمام بأصول الأمم قبل البعثة الإسلامية " [٥] .

٤– يمكن القول بأن النسطورية الحديثة استغلوا فكرة أن العقائد الدينية لا

---

(1) هذه التعاليم السبعة التي قال بها نسطور القديم ، وبسببها حرمه مجمع أفسس الأول من حقوقه الرعوية هي التي يمكن الوقوف عليها بالنسبة للنسطورية القديمة . راجع ماهر يونان – الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ٤٨ .

(2) إذا تردد الأسئلة على جهة عجز أصحابها عن دفعها ، فقد بان انحرافها ، لأنها لو كانت سليمة لأمكن الدفاع عنها .

(3) يذهب الكثيرون إلى أن هذه التعاليم كانت بمثابة عوامل الثورة على الكنيسة في مرحلة من المراحل .

(4) د / علي جبر – محاضرات في علم الكلام ص ١٠ ، ط : دار الطباعة الفنية .

(5) الإمام محمد عبده – رسالة التوحيد ص ٢٣ .

تقبل مراعاتها عن طريق القواعد العقلية ، ودعموا فكرة خصومة العقل مع النقل مع أنها خصومة كاذبة ، لأن النقل الصحيح لا يتعارض مع العقل السليم ، باعتبار أن كلا منهما منحة إلهية ، وإذا منح الله العبد خيراً فأرسل له الرسل [١] ، فلا يمكن أن يصطدم الرسول الذي هو نعمة من أنعم الله ، مع العقل السليم الذي هو الآخر نعمة من أنعم الله [٢] .

٥ – نبه ابن خلدون إلى أن العقل قد خلقه الله ليدرك أمورا هي في طاقته، ثم كلفه الإيمان بما هو أعلى من طاقته من باب الإيمان بالغيب ، أما لماذا ؟ فلأن إمكانيات العقل محدودة ، بينما أنعم الله لا تحصى عددا ، ويقول رحمه الله : " اتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك ، فهو أحرص على سعادتك " [٣] وأعلم بما ينفعك لأنه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك [٤] .

كما نبه إلى أن هذا التحيز للعقل إنما هو ملاحظة لما فيه مصالحه، ويؤكد أن حجب العقل عن الخوض في تلك المسائل لا يقدح في العقل ومداركه [٥] ، وذلك بقوله : العقل ميزان صحيح أحكامه يقينية لا كذب فيها

---

(1) الثابت عندنا نحن المسلمين أن بعثة الرسل إنما هي تفضل من الله لا واجب عليه ، وأنه إذا شاء أرسل ، وإذا لم يشأ لم يرسل ﴿ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ .

(2) لو حدث هذا الصدام لما كان أحدهما – العقل والرسول – حجة على الآخر ، ولما كانت هناك حاجة لأي منهما وذلك يخالف الحكمة الإلهية .

(3) السعادة الشرعية أينما تكونوا في طاعة رب البرية ، ولذا بشر الله أهل الورع والتقوى بها ، وبين أنها من صفاتهم وتوفيق الله لهم في الآخرة ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود : ١٠٨] .

(4) العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون – مقدمة ابن خلدون – الجزء الثالث ص ٩٦٨ ، ت د / على عبد الواحد وافي ، ط : مكتبة الأسرة سلسلة التراث ٢٠٠٦ م .

(5) المعجزات تأتي خارقة للعادات على أيدي أنبياء الله ، ولا تأتي خارقة للعقول ، لأن العقل إذا خرق انفصل التكليف ، والعقل حجة الله على عباده ، بدليل قوله ﷺ : " رفع القلم عن ثلاثة ... " .

، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره ، فإن ذلك طمع في محال[١].

ولا يخفى أن النسطورية بهذا التوجه إنما يسمون تصرفاتهم بعدم العقلانية والخروج على معيار العلم الذي هو " من الأمور العقلية المحضة وقواعده مركوزة في قلب كل عاقل ذكي " [٢] .

بقيت مسألة مهمة هي أن النسطورية الحديثة غالطوا أنفسهم حينما رفضوا العقائد المسيحية التي قال بها سابقوهم بدعوى مخالفتها العقل ، ثم وقعوا هم أنفسهم في ذات المخالفة عندما قرروا أحكاما ليس بإمكانهم الدفاع عنها .

٦ – أن فكرة الأقانيم المثلثة ، والوجود والعلم والحياة ، فيها نوع من استدعاء ثقافة الآخر عليهم ، وذلك شأن الأقدمين منهم بما يوحى ، أن الميراث الفكري لم يختلف كثيرا باعتبار حقيقته ، وبخاصة ما يتعلق بالنسطورية القديمة والحديثة .

المبدأ الثالث : إنسانية يسوع التامة .

[أ] العـــــرض .

وهذا المبدأ قائم على أن يسوع في حالة استبعاده من دائرة الألوهية تكون له الإنسانية التامة من خلال الأقنوم والجوهر معاً [٣] .

اعتقد النساطرة المحدثون أن يسوع إنسان تام وكرروا ذكر هذه

---

(1) العلامة ابن خلدون – المقدمة جـ ٣ ص ٩٦٨ ، ت د / علي عبد الواحد وافي .

(2) الشيخ / مصطفى رضوان هداية – الجنان في علم الميزان ص ٥ ، ط : التوفيق – بمصر ١٢٨٩ هـ .

(3) وبناء عليه يكون المسيح مسيحين ، مسيح يظهر فيه الإله بأقنومه وجوهره ، ومسيح يظهر فيه الإنسان بأقنومه وجوهره أيضاً .

المسألة حتى شغلت صفحات عديدة من المؤلفات التي حكت أراءهم وتناولت أفكارهم ، واعتبرها البعض بمثابة إعلان حرب ، يشنها النساطرة على الكنيسة الأرثوذكسية التي تبنى أفرادها تأليه المسيح تأليها كاملا ، ومن ثم فإن هذا المبدأ يعتبر أحد العوامل التي انفرد بها النسطورية واعتبرها الشهرستاني من مبتدعات نسطور الحكيم نفسه حين قال : " نسطور الحكيم ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه " (١) .

وبناء عليه يكون نسطور الحكيم قد أكد على أن المسيح إنسان وليس إله كما مر ، فهو بذلك يخالف النسطورية القديمة ، حيث كانوا يعتبرون أن يسوع الإنسان مختار من الكلمة ، وهو في ذات الوقت أنعم الله عليه بالكلمة فوجبت بذلك عبادته (٢) وأنه بذلك إله حق من إله حق .

كما أن النساطرة المحدثين في تنبيههم لفكرة إنسانية يسوع إنما حاولوا إيجاد عنصر ملائم بينهم والبلاد التي نزلوا بها ، ويرجع عزيز سوربال هذا التوجه منهم إلى أنهم عاشوا مهمشين على المسرح السياسي طيلة حكم الخلفاء الراشدين والأمويين ، وكذلك إلى وقت طويل في ظل الخلافة العباسية (٣) .

ولاشك أن هذا يدفع إلى وصفهم بالجبن عند إعلان آرائهم، ويجعلهم أقرب ما يكونون إلى يهود الدونمة الذين أخفوا اليهودية وأعلنوا

---

(1) العلامة الشهرستاني – الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٩ ، تحقيق الأستاذ / عبد العزيز محمد الوكيل – مؤسسة الحلبي .

(2) راجع ماهر يونان عبد الله – الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ٤٨ .

(3) عزيز سوربال – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٦١ .

الإسلام حتى يستفيدوا من تسامح المسلمين معهم [١] .

لقد نبه كيلي إلى أن إنسانية السيد المسيح هي إنسانية كاملة ولم يكن المقصود أنه شخص متميز ، ولكنه مجرد إنسان حقيقي على نحو موضوعي ، وكانت غايته من ذلك أيضا إنصاف تجربة المسيح الإنسانية[٢].

إن الاعتراف بكون المسيح إنسانا غير كامل فيه جناية على الإنسان ذاته ، ومن ثم تعرض النسطوريون لبعض المضايقات من المسيحيين الأرثوذكسيين ، حيث كانوا يرون هذه الأفكار النسطورية مجرد هرطقة يجب القضاء عليها . ويعتقد عزيز سوربال : " أن النساطرة الجدد لم يقبلهم الحكام العرب بكل حقوقهم وواجباتهم إلا بعد الإعلان أن المسيح إنسان ، بحيث يجعلهم أقرب إلى التفكير المنتشر بين الحكام العرب ، ويستند في هذا على ما نقل عن إيليا مطران نصيبين ١٠٠٨ / ١٠٤٩ في العلاقات بين المسيحيين والمسلمين ، ورأى أن الضغط على المسيحيين إنما كان بفرض ضرائب جديدة عليهم " [٣] .

أضف إلى ما سبق أن العلماء من النساطرة الذين تبنوا آراء جديدة ومنها إنسانية المسيح كانت تنال القبول ممن يتولون قيادات كبيرة في العالم العربي والإسلامي ، وذلك من شأنه تشجيع النساطرة على إعلان آراء دينية قد لا تكون لها نصوص كتابية ، وكانوا يفعلون ذلك

---

(1) أسرف يهود الدولمه في هذا السلوك حتى كانت نهاية الخلافة الإسلامية في تركيا على أيديهم ، لمزيد من التفصيل انظر الشيخ / السيد أحمد بن السيد زيني دحلان – الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية جـ ٢ ص ٢٧٥ – ٢٨٤ ، ط : السعادة مصر ١٣٣٠ هـ .

(2) د / عبد المالك خلف التميمي – التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ص ١٨ ، ١٩ ، ط : الكويت ١٩٨٢ م .

(3) عزيز سوربال عطية – تاريخ المسيحية الشرقية ٢٦٣ م .

بغرض أن يعيشوا في سلام [١] .

ويقرر عزيز سوربال : " أن النساطرة الذين تمسكوا بالمسيحية عاشوا في الجبال وتركوا المدن والسهول ، بل عاش النساطرة أيضا في فقر وجهل وعزلة " [٢] .

ويهمني الإشارة إلى أن هذا الطرح الذي قال به عزيز سوربال من اضطهاد المسيحيين في ظل حكم الخلفاء المسلمين ليس له ما يبرره ولا يقوم دليل عليه ، بل العكس من ذلك تماما ، حيث كان المسيحيون يقربون من الخلفاء المسلمين ، بل عين بعض النساطرة ولاة على أقاليم هامة من الدولة الإسلامية [٣] .

وقد ذكر عزيز سوربال نفسه أن الخليفة المعتضد وافق على تعيين أحد النساطرة واليا على إقليم الأنبار بجوار بغداد عاصمة الإمبراطورية الإسلامية ، ويؤكد أن المسلمين تسامحوا مع النساطرة الذين سارعوا إلى بناء كنائس جديدة وكبيرة مخالفين ما كانت تنص عليه العهدة العمرية من عدم بناء كنائس جديدة مع الاحتفاظ بالقديمة وترميمها[٤].

وبناء عليه فإن ما ذكره من كون النساطرة مالوا إلى القول بإنسانية المسيح حتى يتفادوا الضغوط التي تمارس عليهم لا أساس له من

---

(1) هذه الحيلة إنما تصف المسيحيين بالتدني ، إذ كان بإمكانهم البقاء على ديانتهم ودفع الجزية التي فرضت على أمثالهم ، أما وأنهم قد فضلوا المغامرة بمعتقداتهم الدينية في سبيل ما يمكن دفعه من جزية ، فقد دل الأمر على وقوعهم فيما يقدح فيهم ، ويزيل التقدير عنهم.

(2) عزيز سوربال عطية – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٧٥ .

(3) هذه المسألة تعبر عن نوع من التسامح الإسلامي الذي أبداه خلفاء المسلمين مع غير المسلمين ، وقد اعترف بذلك المسيحيون والمسلمون على السواء .

(4) راجع عزيز سوربال عطية – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٦٧ .

الصحة .

[ب] مناقشته :

من الواضح أن المسيح إنسان ما في ذلك شك ، وأن إنسانيته كإنسانية غيره من البشر مسألة قد حسمت عن طريق النقل في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [١] ولكن هذا المبدأ يمكن مناقشته من خلال ما يلي :

١ – النصوص والمؤلفات المسيحية تدعي أنه ابن الله الوحيد على الحقيقة [٢] ، وإذا كان النسطوريون المحدثون يقولون إنه إنسان كامل ، فعلى أية ناحية يسيرون إن صاحب كتاب سيرة المسيح يقول : " لم يرفض المسيح تهمة أن الله أبوه ، وأنه معادل لله ، بل لم يرض السكوت عنها ، لقد أيد هذه التهمة ولم ينكرها " [٣] ، والنساطرة يؤكدون أنه إنسان كامل ، فهل لديهم قدر من إعلان التخلي عن أفكارهم القديمة ، والتأكيد على أنها وجهة نظر ولم تكن عقيدة دينية [٤] .

٢ – إنسانية المسيح على الناحية الحقيقية تخالف مبدأ وجود جوهرين متمايزين أو أقنومين منشطرين في المسيحية ، فعلى أي أساس يتم التعامل مع النسطورية الحديثة ، من السهل القول بأن النسطورية الحديثة استفاد رجالها الكثير مما هو من ثقافات البلاد التي نزلوا

---

(1) سورة آل عمران الآية ٥٩ .

(2) كلمة الحقيقة هنا قيد بحيث يخرج عنها النبوة غير الحقيقية التي ترد بالمعنى المجازي في بعض النصوص ، ويكون المراد بها أمرا مقبولا على ناحية تأويلية صحيحة .

(3) سيرة المسيح ص ١٧٠ .

(4) العقيدة الدينية موضوعها القلب ، وصاحبها إما أن يكون مؤمنا أو كافرا ، بينما المعرفة يكون موطنها العقل وتصير صوابا أو خطأ .

إليها ، بل ومن فلسفتها أيضا ذلك مما يؤكد أن القضايا التي طرحها النساطرة الجدد كانت ذات مردود وقتي ، وأنها لم تحقق ما كان ينتظر لها من نتائج ، بجانب أن تقلبهم على الجهات المختلفة ، وعدم إمضاء منهجهم الذي اختاروه قد أضعف كثيرا من مواقفهم ، وجعل الآخرين ينالونهم وقتما يريدون .

٣ – أن بشرية يسوع على ما ذهبوا إليه جعلت عملية الإشراك بالله صورة مؤكدة لدى الذين يتمسكون بالنصوص الكتابية ، كما قدمت المسيحية بصورة يسهل نقدها ومهاجمتها ، حتى قال ماهر يونان : " لقد قدم نسطور هذا أسوأ صورة للمسيحية أدت إلى رفض ما فيها من حق ، وقبول ما ليس فيها ، فجمعت بين أمرين بينهما غاية التباعد " [١] .

والذي أطمئن إليه أن كثيرا من الآراء قد جمعت من خلال تراث فلسفي اصطبغ بلغة دينية من السهل إماطة اللثام عنها ، فتظهر في صورتها الحقيقية .

٤ – أن الانتقال المتواصل للنساطرة جعلهم يتنازلون عن بعض الآراء التي قالوا بها ثم يعودون إليها عندما تواتيهم الفرصة ، ويعترف عزيز سوربال بأن هولاكو استطاع القضاء على الخلافة العباسية ١٢٥٨ م ، وقد تبعته أحداث مثيرة لصالح النسطورية الحديثة ، حيث كانت له زوجة مسيحية مما جعل النساطرة يعيدون صياغة آرائهم ويتمسكون بما سبق لهم التنازل عنه [٢] ، فإذا صح هذا القول منهم فقد اندفعت كل الشكوك نحوهم ، وبات من المؤكد

---

(1) ماهر يونان – الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ٤٨ .

(2) راجع عزيز سوربال – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٧١ ، وقد حكى أيضا أن مونجول خان كان نفسه مسيحيا نسطوريا.

القول بأنّ الأفكار النسطورية الحديثة وجدت لها صدى امتدت آثاره إلى يومنا هذا .

المبدأ الرابع : أن مريم ولدت المسيح من جهة الناسوت .

[أ] العـــــرض .

ومعنى ذلك أن الأب في النسطورية ولد إلهاً ولم يلد إنسانا " ومريم ولدت إنسانا ولم تلد إلهاً " (١) .

لقد اعتقد المسيحيون أن يسوع بن الله ، ثم جاء النساطرة فقالوا بالطبيعتين ، أما المتأخرون فقالوا إن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته وهو الجزء الإنساني ، ولم تلد المسيح من جهة أخرى ، وبالتالي فلا تلقب بوالدة الإله ، وإنما تلقب بوالدة يسوع المسيح ، يقول أمير نصر : " إن النساطرة خالفوا المعمول به في المسيحية حينما قالوا إن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته ، وأنها أمه التي لم تلد إله قط " (٢) .

وإذا كانت مريم ولدت ناسوت المسيح ، فهي من هذه الناحية دالة على إنسانية المسيح لا ألوهيته ، حتى وإن حدث سكن اللاهوت في الناسوت فسوف ينتج اتحاد أخلاقي أو أدبي ، أو مشاركة عاطفية ، وهذا ما ترفضه الكنيسة الأرثوذكسية (٣) .

لقد جاءت فكرة ولادة مريم للمسيح من جهة الناسوت لتضع النسطورية الحديثة في مواجهة قاسية لأنها فرضت على العقل المسيحي إنكار أحقية السيدة العذراء في أن تكون والدة للإله ، وحصر دورها في

---

(1) ابن تيمية . الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ .

(2) أمير نصر – الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٩ .

(3) راجع للأنبا غريغوريوس مذكرة اللاهوت المقارن ص ١٢٨ وما بعدها .

أن تكون والدة لجزء من يسوع وليست والدة له ككل [١] .

في نفس الوقت فإن هذا الاتجاه الجديد قد كشف عن طبيعة فلسفية حيث اعتنقت آراء قد دخلت إلى اللاهوت وليست منه ، وكان ذلك من علامات الترجمة للفكر الوثني ودخوله للمسيحية وكذلك عمل النساطرة بحكم اهتمامهم في البلاد الوثنية واتصالهم بثقافتها على نقل هذه الثقافة الوثنية إلى اللغة السريانية التي هي عماد الاتصال بالموضوعات الدينية، وقد أثر ذلك على العقيدة المسيحية [٢] .

ولا يخفى أن هذا التجريم لنوع الثقافة التي تمكنت من النساطرة الجدد بعيد عن وجهة نظر خصومهم وموقفهم منهم ، ولا يعبر عن رأي النساطرة أنفسهم [٣] ، ويزعم غريغوريوس أن اتجاه النساطرة الجدد فيه إحياء لمذهب اللاطائفية [٤] ، ثم يقول ومن غير المعقول ألا يكون للإنسان كفرد عقيدة يؤمن بها ويدافع عنها ويحيا بها وفيها ولها [٥] ، ويمارس سلوكه طبقا لها بشعوره الواعي ، وفي ذات الوقت تقبل طبيعة الإيمان ، وتعلم الكذب والنفاق والتعمية [٦] .

وبعيدا عن أحكام الشطط التي يسارع إلى إصدارها خصوم النسطورية عموما ، فإن فكرة ولادة مريم للجزء الناسوتي من المسيح فيه

---

(1) راجع أمير نصر – الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٢٩ .

(2) د / ملاك إبراهيم يوسف . دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي ص ٣١٠

(3) وكثيرا ما تقع هذه الخصومات بين أصحاب الاتجاه الواحد في المسيحية طالما كان ذلك يزعزع ثقة أبناء الشعب في هذا المذهب أو ذاك .

(4) اللاطائفية معناها ألا يتبع المسيحي كنيسة بعينها ، أو عقيدة بذاتها ، وإنما ينادون بعقيدة مشاعة تتلخص في المبادئ المشتركة ، وتتنكر للمعتقدات المختلف عليها بينهم . الأنبا غريغوريوس – اللاهوت المقارن جـ ١ ص ٢٧٠ .

(5) فكرة الثالوث لا تفارق هؤلاء سواء باعتبارها عقيدة ، أو بالنظر إليها على أنها فكرة يقوموا الثالوث في مفهوم كلمة بها ، ومفهوم كلمة فيها ، ومفهوم كلمة لها .

(6) الأنبا غريغوريوس – اللاهوت المقارن ص ٢٧١ .

إعلان بأن النسطورية الحديثة استطاعت أن تكسب أرضية جديدة في الميدان الفكري مما جعل الاتجاه نحو اعتقاد تلك الأفكار أمرا عاديا ، يدل عليه أن النساطرة الجدد حذفوا من كنائسهم أغلب ما هو موجود لدى غيرهم حتى الصلبان العادية ، يقول عزيز سوربال : " بل صار الصليب مجرد رمز بسيط ، كما أن موقفهم من العذراء مريم صار أقرب إلى المبادئ البروتستانية " (١) .

لقد تطور آداء النسطورية الحديثة وبخاصة في القرن السادس عشر وما تلاه ، يتضح ذلك حينما تولى النساطرة الجدد القيام بالدور التوجيهي في بعض الكنائس إبان تلك الفترة إلى يومنا هذا ، ومن الأدلة على ذلك وقوع التعاون بين النساطرة والأمراء البدائيين الذين كان مظهرهم واحدا رغم الاختلاف في الدين والتقاليد والحياة الخاصة (٢) .

ويعتقد عزيز سوربال أن النسطورية الحديثة استطاع قادتها إحداث نظام داخل المجتمع النسطوري يقوم على أساس قبلي : " بقيادة ملك لكل قبيلة في قريته ، وكان البطريك النسطوري هو الرئيس الأعلى للأمة ، وكل الرؤساء يخضعون له في الأمور المدنية والدينية ، كما كان الأمير الكردي يجلس بجوار البطريك النسطوري لمناقشة الأمور التشريعية الخاصة بالأكراد المسلمين والنساطرة والمسيحيين " (٣) .

من الممكن القول بأن النساطرة الجدد حرصوا على التطوير في

---

(1) د عزيز سوربال عطية – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(2) اتحاد المظهر الخارجي كثيرا ما يخدع أصحاب النظرة الشكلية الذين لا يمكنهم التفريق بين الظواهر الشكلية والحقائق الموضوعية .

(3) عزيز سوربال عطية – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٨٣ .

عقائدهم الدينية بما يتفق مع الظرف الذي يعيشون بداخله ، ومن ثم فلم تكن لديهم مشكلة في تغيير المبادئ التي يعتقدونها حتى وإن كانت مخالفة لأصول العقائد المسيحية المستقرة ، لأن الحياة في وسط شعوب وثنية ربما تكون هي التي دفعتهم إلى ذلك [١]

أخلص مما سلف إلى أن اعتقاد النساطرة الجدد في كون مريم والدة المسيح من جهة الناسوت صار من المبادئ العامة التي يتمسك بها هؤلاء ويدافعون عنها .

[ب] مناقشته :

من الواضح أن الخصومة بين النساطرة وغيرهم من الأرثوذكس قد دفعت بالأرثوذكس إلى تبني مواقف تتسم بالعنف أحيانا ، مما دفع بالنساطرة إلى هجرة بعض المواطن التي ولدوا بها بدليل أن " تواجد النساطرة في الوقت الحاضر تركز في العراق وإيران والهند وأمريكا الشمالية " [٢] .

ونظرا لهذه الخصومة فقد باتت عملية صناعة الآراء ونسبتها إليهم يمكن وضعها في نطاق العادة ، وأن تلك الخصومات يمكن النظر فيها من خلال الآراء التي تدعي عليهم بغية النيل منهم ، وبعيدا عن هذه وتلك فإني أقرر ما يلي :

١ – اعتبار النسطورية قديما وحديثا من القضايا التي وقع النزاع بشأنها في المسيحية ، وأن هذا النزاع كان من عوامل ظهور فرق عديدة داخل هذا النظام الكنسي القائم على العنف والطرد النفسي ، يقول

---

(1) راجع الأمير نصر – الكنيسة تواجه الهراطقة ص ١٤٧ .

(2) ماهر يونان عبد الله – الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ١٢٩ .

صاحب الخُريدة النفسية : " إن نسطور كان ضالا ، وكان ينصح بمخالفة تعاليم الكنيسة ، ولم تكن سيرته فوق الشبهات وبخاصة بعد مصادقته ايريناوس الذي كان متزوجا بامرأتين وذئبا خاطفا بدل أن يكون راعيا " (١) .

وهذا من شأنه التأكيد على أن أفكار النسطورية غير مقبولة من أصحاب التعاليم الكنسية ، كما أن مبدأ اعتبار مريم والدة المسيح إنما هي آراء قال بها المتطرفون لتعبر عن وجهة نظرهم المعرفية لعقيدتهم الدينية وقد " دفع ذلك الموقف إلى ظهور نساطرة جدد غايتهم هدم الدين الكتابي " (٢) .

٢ – أن هذا المبدأ النسطوري لم يسلم من إدخال التعديلات المتواصلة عليه والتحول به من الصورة الحقيقية إلى الصورة المجازية بما يؤكد أنه ليس عقيدة دينية ، يقول القس بيمن القس بطرس الطحاوي: " إن هذا المبدأ قد جعل بدعة النصارى تزداد ، ورغم استنكار معظم الأساقفة لها إلا أن بعض المرائين وافقوها ، وأقروا هذا المبدأ الدخيل لهدف في قلوبهم تحت ضغط بوليكاريا النذيرة التي كانت أختا للإمبراطور ثيودووسيوس الصغير وأعلنت زواجها من مركيان أحد قواد جيش أخيها الذي كان يميل إلى النساطرة

---

(1) الأنبا ايسبذورس – الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة جـ ١ ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، مطبعة قاصد خير – بالفجالة – القاهرة ١٩٦٤ م .

(2) تاريخ الكنيسة المفصل – المجلد الأول ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ط : دار المشرق ، نقله إلى العربية الأبوان : أنطوان الغزال ، وصبحي حموي اليسوعي ص ١٩٦٩ .

ويأخذ عنهم " [١] .

٣ – أن هذا المبدأ وإن دل على مرونة لدى النساطرة بحيث يحققون نوعا من التوافق بينهم والبلاد التي يقيمون بها ، وهذا من شأنه التأكيد على أن النساطرة الجدد غيروا في نمطهم الفكري ، وليس لديهم مانع من الانخراط في الآخر ، والانفتاح المتواصل عليه مادام ذلك يحقق أهدافا خاصة بهم ، وربما كان ذلك أحد العوامل المساعدة في اتساع المد التبشيري داخل الأماكن التي وجدوا بها مما يجعلني أقرر أن هذا المبدأ يتسع ليكون في بعض الأوقات عقيدة دينية ، وفي بعض آخر لا يزيد عن كونه مسألة معرفية [٢].

ويعتقد القس صموئيل مشرقي أن النساطرة الجدد ضمن حملة الأدعياء الذين " يقومون بجهود مضنية في محاربة الكتاب المقدس على أساس فلسفي معار في حقيقته للإعلان المسيحي وهم يتصورون بذلك النيل من العقائد التي يشتمل عليها الكتاب المقدس واحدة وراء الأخرى في هجوم سافر على المسيحية " [٣] بأثرها ، والتي يدور وجودها كله حول الإيمان بعصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه " .

٤ – أن النساطرة الجدد تأثروا بالفلسفة إلى حد بعيد ، يقول الشهرستاني عن نسطور الحكيم : " ويرجع منتهى كلامه إلى إثبات كونه تعالى موجودا ، حيا ناطقا كما تقول الفلاسفة في حد الإنسان [٤] ، إلا

---

(1) القس بيمن القس بطرس الطحاوي – موجز تاريخ المجامع المسكونية ص ٢٩ ، ٣٠ ، وراجع أيضا ص ٣٣ ، ٣٤ .

(2) الفرق بين العقيدة والمعرفة هو نفسه الفرق بين الإيمان القلبي الفطري الذي لا يقبل التزحزح ، وبين المعرفة التي تقع في نطاق الصواب والخطأ .

(3) القس صموئيل مشرقي – عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه ص ٣ الكتاب السابع والأربعون ، ط : الأمانة بالقاهرة – الأولى ١٩٨٠ م .

(4) يحد الفلاسفة الإنسان بأنه حيوان ناطق ، فإذا قلت ما الإنسان ؟ كان الجواب حيوان ناطق فالحيوانات الناطقة وايهان

أن هذه المعاني تتغاير في الإنسان لكونه جوهرا مركبا " [١] .

" أوجه المقارنة بين النسطورية القديمة والحديثة "

لما كان المراد من لفظ المقارنةهو وجود علاقة بين طرفين فأكثر يمكن أن يقارن بينهما أو بينهم في أمر ما أو تقع المقارنة في وجوه عديدة ، فإني أحاول هنا بيان تلك العلاقة المقارنية بين النسطورية القديمة والحديثة [٢] بحيث يظهر امتياز كل منهما عن الأخرى وبيان ما إذا كان هناك علاقات انفصال أو اتصال وأسباب ذلك .

أولاً : الأشخاص :

نسبت النسطورية القديمة إلى نسطور الذي ولد سنة ٣٨٠ – ٤٥١ م في مرعش في سوريا ، وبالتالي تكون حياته شغلت نهاية القرن الرابع ونصف الخامس للميلاد [٣] .

بينما النسطورية الحديثة تنسب إلى شخص ابن حرما مطران نصيبن الذي لقب بنسطور الحكيم ، حيث أعاد فكر نسطور القديم وأحيا النسطورية من جديد [٤] ، وبناء عليه يكون الفرق بينهما في أسماء

للإنسان ، ويعرف لهما من ناحية التعريف بالحد التام الذي يكون بالجنس والعقل القرين .

(1) العلامة الشهرستاني– الملل والنحل جـ٢ ص٢٩٢ ، تحقيق/عبد العزيز محمد الوكيل

(2) وقارن مقارنة : بمعنى وازن ، وقارن الشيء بالشيء وازنه به ، وقارنه مقارنة : صاحبه واقترن به ، واقترن الشيء بالشيء اتصل به وصاحبه .

كلمة قارن تجيء على معنى الجمع بين الشيئين والتقاء طرفي الحاجبين ، كما تجيء على معنى الاتصال والموازنة ، وفوق ذلك فإنها قد تنسب إلى الحبل الذي يقرن للم البعيران ، ولذا يطلق لفظ القرين على الزوج والقرينة على الزوجة – راجع – المعجم الوجيز – باب القاف ص ٥٠٠ ، ط : التربية والتعليم ٢٠٠٦ م .

(3) وإذا كان رسول الله ﷺ قد بعث ٦١٠ م على الرأي الراجح ، فإن وجود نسطور يكون قبل بعثة الرسول بقرن ونصف تقريباً غير نسطور الذي سيأتي فيما بعد .

(4) راجع لابن تيمية – الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ ، وابن القيم – إغاثة اللهفان جـ ٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

الأشخاص ، والزمان الذي وجد فيه ، حيث كان نسطور الحكيم قد ظهر في زمان المأمون ، وهو مطلع القرن التاسع الميلادي ، بينما كان نسطور القديم فيما بين الرابع والخامس ، فتكون المسافة بينهما على ما ذكرت أكثر من أربعة قرون ونصف .

وأنوه إلى أن أصحاب التراجم ذكروا أكثر من شخص سمِّى بنسطور ، فذكر صاحب المنجد نسطور ملك بيلوس وبطل حرب طروادة، وذكر منهم أيضا نسطور صاحب النسطورية القديمة [١] ، مما يؤكد أن الأمر متكرر وأن ما ذكره الشهرستاني عن وجود نسطور الحكيم في زمن المأمون يعتبر صحيحا من الناحية التاريخية .

ثانياً : النشأة والثقافة .

يذكر هيبا الطبيب صاحب رواية عزازيل أن نسطور المبجل هذا قد نشأ في أورشليم ، وأنه واحد من مجموعة آباء اللاهوت الذين كانوا يلقون العظات في ذات المنطقة من أرض فلسطين [٢] ، وبالتالي تكون نشأته وثقافته قد قامت في العلوم التي تخدم الكنيسة وتمهد صاحبها لخدمة الأديرة ذات النظام الكنسي المعمول به في تلك الآونة [٣] ، ومن ثم فقد كانت ثقافته متواضعة وإن كانت إمكانياته الشخصية متعالية ، وقد ساعدته تلك الملكات على إبراز فصاحة بجانب زهد ، من خلالهما تمكن

---

(1) راجع المنجد في اللغة والأعلام ص ٥٢٢ ، ٥٧٣ .

(2) راجع هيبا الراهب – رواية عزازيل ص ١٥ .

(3) راجع د / ملاك إبراهيم – دور علاقات الكنيسة القبطية ص ٢٨٦ .

من الوصول إلى ما يريد.

بينما نسطور الحكيم استطاع أن يكتسب ثقافة ذات روافد متعددة تمكن منها عن طريق تردده على ملك الروم والفرس وثقافتهما ، فهو ابن السياسة بينما الأول ابن الرهبنة [١] ، وهذا مما يكشف عن طبيعة المقارنة التي دلت على أن الأول لما كان قد تربى على الرهبنة وتعلم حياة الخشونة والقسوة فقد اصطدم مبكرا برجال اللاهوت المفترض أنهم يدعمونه وبخاصة أن وجوده كان إبان العصور الوسطى [٢] . بينما الثاني " ابن صرما " قد تربى في حياة القصور ، فقد هذبته السياسة بدليل أنه لم يصطدم بأحد رغم مخالفة آرائه لمعتقداتهم الدينية.

ثالثاً : وظائفهم .

تذكر المصادر أن نسطور القديم قد تم تدريبه عل بعض الوظائف الإدارية والأخرى الكنسية الدينية التي تلزم لعمله الرعوي ليس إلا ، إذ كان الأمر في تلك الفترة لا يسمح لأحد من رجال اللاهوت أن يمارس عملا علميا يخالف اتجاهات الكنيسة العامة ، ومن خالف عوقب [٣] .

بينما الثاني فرضته السياسية على الكنيسة ليعمل مطرانا على نصيبين بحيث يكون عينا للملك داخل النظام الكنسي اللاهوتي ، وهذا مما يكشف عن طبيعة التوجه الفكري لدى كل منهما والأثر الذي سيترتب

---

(1) يمكن القول بأن نسطور القديم تربى في الأديرة ، وجاءت ثقافته لاهوتية مختلطة ، بينما الثاني تربى في القصور وجالس الملوك فجاءت ثقافته ذات طبيعة فلسفية مصبوغة بطبيعة سياسية .

(2) امتدت هذه الفترة في أوربا قرابة ثمانية قرون ابتدأت من نهاية الرابع وانتهت مع ظهور روجر بيكون في القرن الثاني عشر .

(3) كالحال مع آريوس ومن سبق ممن طبقت عليهم تلك الأحكام . راجع د / رمسيس عوض – محاكم التفتيش وبخاصة الصفحات من ١١٦ وما بعدها ، ط : دار الهلال ٢٠٠١ م .

على ذلك .

رابعاً : المبادئ والمعتقدات .

رفض نسطور القديم عقيدة الاتحاد بحسب الطبيعة بين اللاهوت والناسوت [١] وبناء عليه قال بوجود الطبيعتين المنفصلتين في يسوع المسيح .

بينما نسطور الثاني أكد على أن المسيح جوهران فأضاف إلى الفكرة الانفصالية المصطلح الفلسفي بما يعني قدرة نسطور الحكيم على صياغة آرائه في صورة فلسفية يعطيها الشكل الديني على ناحية من النواحي ، وهذا مما جعل ابن البطريق يتهم النساطرة المعاصرين له بمخالفتهم قول نسطور القديم [٢].

ربما يقال إن نسطور القديم كان يعتقد بالطبيعة الانفصالية ذات الفكر المتجوهر ، وأن المتأخر استفادها منه ، والجواب أن الأول لم يكن فلسفيا بحيث تعرض عليه تلك الأفكار ، وإنما هو كاهن تربى في كنيسة يصعب عليه القول بهذه الأفكار ، وبخاصة أن الفترة التي وجد فيها كانت هناك معالم كثيرة لظهور الفكر الآريوسي الذي تستر وراء مذهب الموحدين في بولنيا [٣] .

بينما كان الثاني على وعي بالثقافة اليونانية التي أتيح لها أن تعبر عن نفسها من خلال توجهات بذاتها كما أنه ظهر في بدايات عصر النهضة حيث أُتيح للمعارف الإنسانية أن تبرز للوجود وتعبر عن نفسها

---

(1) ماهر يونان عبد الله – الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ٤٨ .

(2) راجع لابن تيمية – الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٨ .

(3) راجع للقس صموئيل مشرقي – الإلهيات ص ٧٠ ، ط : الثانية ١٩٨٧ م الكنيسة المركزية – القاهرة .

من خلال صور مختلفة [١] .

كما أن العلاقة القائمة بين اللاهوت والناسوت لدى نسطور القديم إنما هي علاقة اتصال وليس علاقة اتحاد [٢] ، وهذا قد أدى إلى نوع من المواجهة بينه وبين أصحاب القول بالطبيعة الاتحادية الجامعة بين الناسوت واللاهوت .

بينما حرص زعيم النسطورية الأخرى على الخروج من المعركة بأقل الخسائر من خلال مبدئه القائل بأن المسيح إله تام بأقنومه وجوهره في إنسان تام بأقنومه وجوهره ، والعلاقة بينهما هي كلمة الله الساكن في يسوع المولود [٣] ، فهو لم يقر بالحلول هنا ولكنه رمز إلى الاتحاد في عملية تتسم بالحنكة السياسية التي تتيح لصاحبها التعبير عن آرائه الدينية من خلال لغة لا يتهم فيها ولا يدان بها . وهذا مما يحسب لصالح النسطورية الحديثة ويخصم من رصيد النسطورية القديمة .

أضف إلى ما سبق أن سعي نسطور القديم قد برز فيه نزعة التعالي والثقة في النفس في غير محل حين اعتقد أن علاقته بالإمبراطور ستكون بمثابة الجسر الذي يعبر به فوق جماجم رجال الدين المخالفين له في الفكر وتناسى أن سلطان الإمبراطور كان في ذلك الوقت مرتهنا برجال اللاهوت وأحكامهم [٤] .

---

(1) تظهر هذه المسائل في الكتابات المسيحية التي صاحبت مطالع هذا العصر ومن أقربها دلالة على ما نقول استخدام رجال اللاهوت المسيحي أدلة الفلسفة والفلك والطبيعة والمنطق والعقل للتدليل على صحة العقائد المسيحية ، وكان ذلك ممنوعا على الجميع من قبل . لمعرفة هذه الأدلة راجع القس صموئيل مشرقي – الإلهيات ص ٨ – ٤٠ .

(2) راجع ماهر يونان عبد الله – الطوائف المسيحية في مصر والعالم ص ٤٨ .

(3) د / عزيز سوربال – تاريخ المسيحية الشرقية ص ٢٣٨ .

(4) كان ذلك من سمات العصور الوسطى حيث كانت السلطة الدينية تملك أكبر قوة في القيادة من السلطة السياسية ، وأن الأخيرة كانت تحتمي بالأولى في كثير من الأحيان

خامساً : المبادئ العقدية .

نسطور القديم كان يعتبر الكلمة هي ابن الله ويعتبر عيسى أو يسوع ابن مريم ، فصار كل منهما مستقلا عن الآخر في اسمه وطبيعته مع اتفاقهما في كونهما يمثلان العقيدة المسيحية ، أو جزأً منها على أقل تقدير .

بينما كان نسطور الحكيم يرى أن مريم ولدت يسوع من ناحية ناسوته وبالتالي فهو يمثل علاقة مشتركة بين اللاهوت والناسوت ، وهذا مما يعبر عن نوع من التصرف في اللفظ بحيث يحقق الأهداف المرجوة في وقت قصير ودون إحداث شيء من صدام أو بلبلة فكر .

ومن هنا ثبت إمكان تواصل النسطورية الجديدة مع الكثيرين من أصحاب المذاهب الأخرى حتى وإن خالفوهم الرأي فإنهم لا يقابلونهم بالعنف كما لا يتعاملون معهم بما فيه إرهاب .

سادساً : تسمية العذراء .

اعتقد نسطور القديم في ألا تكون مريم أما للإله ولا والدة له ، وإنما أطلق عليها اسم أم المسيح ، وقد وقع له بسبب ذلك الكثير من العنف والاضطهاد وكانت نتيجة ذلك كله طرده من الخدمة الرعوية وتجريده من كافة الوظائف الدينية [١] .

بينما تفادى نسطور الحكيم الحديث عن تلك المسألة واعتبرها من العقائد التي ليس من الصواب اطلاع العامة عليها تحت زعم أنهم لا يفقهونها ، وقد حدد العامة من وجهة نظره بأنهم الذين لا يشاركونه الرأي وكذلك احتمى بالمقولة التي تتردد داخل الأفكار المسيحية من أن

---

(1) وقد نتج عن ذلك حرمانه من كافة حقوقه السياسية والإنسانية .

المدارك الإنسانية تقصر عن إدراك ما يجب الإيمان به والتسليم بحقيقته[١].

أجل استطاع التفكير النسطوري القديم التمسك بالفهم المحدد والذي فرضته الطبيعة الإنسانية على عقل نسطور القديم الذي كان يردد العديد من المدائح القبطية ، ومنها قولهم :

جوهر واحد مثلث الأقانيـــم .:. من غـــير تفريق ولا تقسيم

سلطان واحد في ملكه مقيم .:. مالئ السماوات وكل الأقانيم[٢]

أما نسطور الحكيم فلم يشغل عقله بهذه الترانيم وإنما آثر أن يواجه الفكرة الرئيسية التي تدور داخل الجماعات المسيحية الأخرى بفكرة عرضية أفقية يمكنها أن تحقق نوعا من الاتصال بين الجماعات التي يقيمون بداخلها من خلال صورة مجردة تقبل المرونة ويتم التعامل بها على ناحية مجازية ، معتبراً المعتزلة من أصحاب المنهج العقلي الذي يجب التزامه فيما يتعلق بالإلهيات ، وبخاصة أن المعتزلة نفوا زيادة الصفات على الذات من باب المحافظة على التوحيد وإثبات التنزيه ، فكان نسطور الحكيم يردد ذلك دون أن ينسبه إلى أحد من المسلمين ، فكان بذلك ناقلا لنوع من التراث الإسلامي إلى الفكر المسيحي تحت أي مسمى ، وربما هذا الذي شجع الإمام الشهرستاني على القول بأن فكر نسطور الحكيم أقرب في بعض مظاهره إلى فكرة الأحوال لدى المعتزلة.

وقد نبه صموئيل مشرقي إلى هذه المسألة حينما ذكر احتجاج

---

(1) راجع للقس صموئيل مشرقي – الإلهيات ص ٨٤ .

(2) المدائح القبطية جملة من الترانيم والأناشيد والقصائد التي كتبها المسيحيون كنوع من تمجيد العقيدة المسيحية ، وهي في الغالب مقتبسة من ثقافات متباينة ، ومن هذه المدائح القبطية القديمة في مسألة الثالوث الأقدس ما قيل :

إله واحد في ثلاثة أقانيم .:. يعجز عن وصفه كل فهيم

المعتزلة على زيادة الصفات ، وقال المعتزلة يؤكدون أن هذه الصفات هي نفس الجوهر لأنه لو اعتبرناها قائمة بالجوهر لاحتاجت إلى هذا الجوهر وأصبحت أعراضا له [١] .

ونحن نؤكد أن المعتزلة لا يطلقون على الله – تعالى – اسم الجوهر لأنهم يتمسكون كباقي المسلمين بأن الله تعالى ليس جسماً ولا جسماني ، ولا يقولون بالجواهر المفارقة .

سابعاً : فكرة الاتحاد الأقنومي .

إذا كان نسطور القديم لا يعتقد بالاتحاد الأقنومي ، كما رفض الاتحاد باعتبار الحقيقة ، وكان ذلك من العوامل التي ساعدت خصومه بحيث يمارسون أنواعا من الضغط عليه ، فإن نسطور الحكيم استطاع أن يفلسف الفكرة الأقنومية بحيث يحولها من فكرة واقعية داخل الإطار الواعي لديهم ، ثم يصوغوها بعيدا عن التوجهات القائمة لدى خصوم النسطورية ، ومن ثم يمكن اعتباره صاحب وجهة نظر في الدفاع عن النسطورية الحديثة ، والقيام بأعباء المبادئ والمعتقدات التي يتمسكون بها، وجاء قانون الإيمان المسيحي معبرا عنها في صورة من الصور .

ثامناً : الانقطاع والاتصال .

من المعروف أن النسطورية القديمة لاقت العديد من الضربات التي وجهها إليها الكثيرون من الكاثوليك والأرثوذكس ، ومن ثم استعداء السلطان عليهم بدليل ما وقع لنسطور نفسه من سجن وتعذيب ، وما وقع للنسطورية من بعده في صور العذاب المختلفة ، مما أدى إلى تلاشي

---

(١) القس صموئيل مشرقي – الإلهيات ص ١٥١ .

النسطورية واختفائها من سطح الأحداث بحيث لم يعد لها وجود .

بينما النسطورية الجديدة استمر امتدادها داخل العديد من المجتمعات الإنسانية إلى يومنا هذا ، بدليل وجودهم في بعض البلاد كالهند وغيرها ممن عرفت عنهم عمليات الانفتاح الاجتماعي على الآخر ، والتواصل معه لأغراض في نفوس أصحابها .

موقف الكنيسة من النسطورية قديماً وحديثاً

من الواضح أن المبادئ النسطورية (القديمة - والجديدة) قد أحدثت نوعا من الاضطراب والقلق داخل الكنيسة ، أو الاتجاه المسيحي، وأنها في ذات الوقت قد فتحت الباب لجدل مسيحي مسيحي بين مؤيد ومعارض ، أو موافق ومخالف ، أو منكر ومثبت ، وجعلت هذا الجدل يتجاوز الهمس والتناجي إلى الإعلان والتناقل ، مما دفع بكتاب الأرثوذكس المعاصرين إلى تحميل النساطرة ما لم يكن في الحسبان ، يقرر هذه المسألة الأنبا غريغوريوس حيث يقول : " إن اعتقاد النساطرة في ربنا يسوع اعتقاد مهين للاهوته ، ذلك أن المسيح عندهم هو في الحقيقة إنسان لابس الله ، أو إنسان ملتحف بالله لأنهم يلحون دائما على ناسوت المسيح ، ويعتبرونه نقطة البداية في نظريتهم التي تنتهي إلى أن المسيح إنسان اقترن الله به بطريقة غير الاتحاد الحقيقي " [١] .

ويعتقد غريغوريوس النتيجة التي افترض وجودها أولا ، وهي أن أقنوم المسيح أقنوم مركب : إنسان وإله ، وابن الإنسان وابن الله ، ومعناه أن هناك ابنين في أقنوم المسيح ، فالمسيح الذي يُعلمون به ليس هو

([1]) لأن الاتحاد الحقيقي في مفهوم أصحاب الاتحاد هو اختلاط كل من يسوع والإله اختلاطا يعبر عن الاتحاد الحقيقي من وجهة نظرهم - تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

اللابس الناسوت بل بالحري الإنسان اللابس الله [١] ، وفي هذه الحالة يكون يسوع المسيح في نظر النساطرة إنسانا نال نعمة خاصة من الله فسر الله به وسكن فيه [٢] فهو إنسان سكن الله فيه [٣] .

وإذا أردنا التعرف على موقف الأرثوذكسية مثلا من النسطورية القديمة والجديدة أمكن لنا الوقوف على تلك النتائج في سهولة ويسر من خلال ما يلي:

١ – رفض النسطورية فكرتي الحلول والاتحاد اللتين قالا بهما النصارى وانتهوا إلى وجود اقتران شخصين أو مصاحبة بين طبيعتين ، ويمكن تسميته اتحادا خارجيا (غير حقيقي).

٢ – رفض النساطرة فكرة الاتحاد الحقيقي الحي بين الإله ويسوع ، واعتبروا فكرة التآلف بينهما هي المقبولة من حيث أنها تعطي تصورا لوجود كائنين متميزين في طبيعتهما وجوهرهما [٤] .

٣ – أن النسطورية تناست حقيقة التجسد الإلهي ، ورفضت فكرة الكفارة والفداء ، ويرى غريغوريوس أنها : " جعلت الفداء بلا ثمر ، لأن قيمة الفداء هي في أن الذي مات عن البشر هو الإله المتأنس ، ولا تصير له هذه القيمة إلا على أساس الاتحاد الكامل الحقيقي بين

---

(1) فكرة اللابس والملبوس في المسيحية ما تزال يتردد صداها في مؤلفاتهم العقدية . راجع القس / منيس عبد النور . الله واحد في ثالوث ص ٩٨ ، ط : دار المحبة ١٩٩٥

(2) وهو الحلول الذي يجري في المسيحية من خلال حلول ذات الله في ذات المسيح وكلها أوجه تعبر عن فساد في العقيدة ناقشها مفكرو المسلمين وأبطلوها . راجع شرح المواقف . سيد الشريف الجرجاني ، شرح الموقف الخامس عن إبطاله للحلول والاتحاد .

(3) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٩٤ .

(4) راجع للقمس / اسكندر جرجي . اللاهوت المسيحي ص ٧٣ ، ٧٤ ، ط : كنيسة المحبة ١٩٨١ م .

اللاهوت والناسوت " [١] .

٤ – أن النسطورية تناست فكرة صورة الإله إنسانا حينما أصروا على وجود طبيعتين بينهما نوع من التآلف [٢] ، ومن هنا اعتقد خصوم النساطرة أن مفكريها لم يبلغوا الفهم الحقيقي لمنع التجسد والفداء ، وأن قولهم بالطبيعتين يكشف جهلهم بأصول العقائد المسيحية [٣] .

٥ – رفض النساطرة فكرة حمل غير المرئي على المرئي ، وقالوا إن كلا من يسوع المرئي والإله الغير المرئي ينفصل كل منهما عن الآخر بملامحه الذاتية ، وبناء عليه صار المسيح منحصرا في دور سلبي [٤] .

يقول غريغوريوس : " إن النساطرة جعلوا المسيح غير فاعل ، فدوره هو المشاركة السلبية ، والعقل كله منسوب إلى الله ، فالمسيح عندهم ليس هو الله عينه ، وإنما هو مظهر لجانب وقع التآلف فيه بين الإله الرب ويسوع المسيح ، ففقدوا اعتبارهم من جماعة المؤمنين بالرب، وعبروا عن كونهم هراطقة ليس إلا " [٥] .

وفي تقديري أن النساطرة الجدد خلطوا بين العقل اليوناني اللوغوس ، وبين يسوع الإنسان ، وأن الأول اتخذ الثاني مظهرا له ، فإذا وقع الخلاص عليه فلا يمثل سوى فرد واحد إنساني ، ولا يكون التكفير عن خطايا الجميع

---

(1) غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٩٤ .

(2) التآلف هنا مجرد صورة نمطية يمكن لأحد الطرفين أو الطبيعتين التمسك بها أو التخلي عنها ، وليس ذلك مما يجيء في الاتحاد الحقيقي على ما تقول به الكنيسة الأرثوذكسية .

(3) راجع للقمس / إبراهيم اسكندر أنور . أنا والمسيح – سنوات الخدمة الرعوية ص ١٠٣ ، ط : دار القدس ١٩٨٣ م .

(4) لأنه لا يملك شيئا يمارسه ، وإنما تتم الأشياء عليه من غير إرادة له ، ولهذا يفتقد دوره الأساسي في منظومة الألوهية .

(5) الأنبا غريغوريوس . اللاهوت المقارن ص ١٩٥ .

كما هو اعتقاد كل من الأرثوذكس والكاثوليك [١] .

كما استطيع القول بأن النساطرة حولوا الجمع – بين الآلهة الإله الأب ، والإله الابن ، وإله الروح القدس – إلى ثنائية مركبة تقوم على أقنومين ، وابنين ، في مركب واحد ، وهذا مما جعل الخصومة بينهم ، وأقرانهم من دعاة الفكر المسيحي تشتد حدتها ، وتشتعل نيرانها ، ولن تتوقف حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا .

وكأني بهم وقد حكى الله تعالى أمرهم وأمثالهم في قوله جل شأنه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [٢] ، وقوله جل شأنه : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٣] .

الخاتمة

لما كانت الخاتمة في الأبحاث العلمية إنما هي تلخيص لأبرز النتائج وأهمها ، فإني سأحاول تقديم بعض النتائج التي أراها تحتملها الخاتمة أو تعبر عنها ، وسيكون ذلك على النحو التالي .

١ – أن الدين الإلهي واحد في عقيدته ، واحد فيما يجيء من ناحية مصدره ، وأن عمليات البحث في المصادر لا يمكن أن ترد – بالنسبة للدين الإلهي – سوى في حيز الوحي لأنه المعبر عن

---

(1) حيث يعتقد كل منهما أن التكفير المترتب على الفداء إنما هو للجميع وليس لشخص واحد ، وأن الذي قام بذلك كله ، وتم عليه هو المسيح الله أو ابن الله على المعنى الحرفي ، وهي معتقدات فاسدة دل على بطلانها النقل الصحيح ، والعقل السليم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

(2) سورة الكهف الآيات ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ .

(3) سورة فاطر الآية ٨ .

كلمات الله ، وفي الوقت نفسه فهو المتحدث عن الغيب الذي أراد الله لبعض رسله الاطلاع على حقيقته ، ولكن ما جاءت به النسطورية وغيرها من فرق النصارى لا يعدو كونه رأياً وفكراً ، ومن ثم كان الاختلاف والتناقض فيما بينهم ، ومن ثم كان الاتهام بالهرطقة والتكفير والحرمان من رحمة الرب .

٢ – إن أساس هذا الاختلاف هو ضياع أصول النصرانية وتعاليم المسيح عليه السلام نظرا للاضطهادات التي لحقت بهم ، وكتابة عشرات الأناجيل والرسائل التي تحمل من فكر أصحابها أكثر مما تحمله من تعاليم السيد المسيح .

٣ – دخول الرومان الوثنيين وغيرهم في النصرانية مما أدى إلى وجود أمشاج من الوثنية والفلسفة الرومانية واليونانية في النصرانية ، ومن ثم توزعت الأهواء ، وتنوعت الثقافات وكان الاختلاف .

٤ – إن نشأة النسطورية بفكرها حول طبيعة السيد المسيح إنما ينم عن معاناة حقيقية في الفكر النصراني بشأن اللاهوت المسيحي وتركبه من الأقانيم الثلاثة حتى أضحى الثالوث المسيحي مشكلة يعز على العقل فهمها ، ومن ثم كانت الأريوسية والنسطورية والملكانية وغيرها على خلاف فيما بينها .

٥ – أن النسطورية القديمة تعبر عن صيحة من صيحات الاحتجاج في مواجهة الفكر الكنسي المتعلق ، أما النسطورية الحديثة فإنما تعبر عن سلطان العلم الفلسفي وكيفية توظيفه في قيادة الآخر تحت اسم ديني بغض النظر عن هذا الاسم وما يلحقه .

٦ – إن بقاء الفكر النسطوري الحديث في جماعات قليلة أو كثيرة حتى يومنا هذا فيه اعتراف بما لهذا الفكر من سلطان على أصحابه وقدرة في كيفية احتواء المشكلات التي تواجه أصحابه .

المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – السنة النبوية .

** صحيح البخاري . للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

** الكتاب المقدس " العهد الجديد " ، ط : دار الكتاب المقدس – بالقاهرة .

** التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، ترجمة شركة ماستر ميديا – بالقاهرة – بدون تاريخ .

** البابلي في الإلهة عشتروت وغيرها من ديانات الشرق الأقصى والأدنى والأوسط .

** تاريخ الكنيسة المفصل . المجلد الأول ، ط : دار المشرق ، نقله إلى العربية الأبوان : أنطوان الغزال ، وصبحي حموي اليسوعي .

** رسائل القديس كيرلس ، ط : مركز دراسات الآباء

** كنيسة قصر الدوبارة . سيرة المسيح ، ط : أولى ١٩٨٣ م .

** كورنثوس الأولى " الإصحاح الثاني عشر .

** المعجم الوجيز – باب القاف ، ط : التربية والتعليم ٢٠٠٦ م .

** المنجد في اللغة والأعلام – ط : دار الشروق – بيروت – لبنان .
** قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٩ دار مكتبة العائلة ، ط : الرابعة عشرة سنة ٢٠٠٠ م ،
** معجم اللاهوت الكتابي – باب العين ص ٥٦٣ ، ط : دار المشرق – الثالثة ١٩٩١ م .
إبراهيم اسكندر أنور .
– أنا والمسيح – سنوات الخدمة الرعوية ، ط : دار القدس ١٩٨٣ م .
ابن القيم .
– إغاثة اللهفان .
ابن القيم .
– هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ط : الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ١٣٩٦ هـ .
ابن تيمية .
– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، تعليق / علي السيد صبح المدني ، مكتبة المدني ومطبعتها بجدة .
ابن حزم .
– الفصل ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني – مكتبة السلام العالمية – بالقاهرة .
أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي .
– ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي ، وكذلك كتابه فضائح الباطنية
– المعتقد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، تحقيق الشيخ / محمد مصطفى أبو العلا ، ط : مكتبة الجندي – بالقاهرة ١٩٦٨ م
أحمد سعد العقاد .
– الأنوار القدسية في شرح أسماء الله الحسنى وأسرارها الخفية ، تقديم د / عبد الحليم محمود ، ط : الشعب .
أسد رستم .
– كنيسة مدينة الله العظمى ، ط : دار الاتحاد ٢٠٠٢ م .
اسكندر جرجي .
– اللاهوت المسيحي ، ط : كنيسة المحبة ١٩٨١ م .
الراهب هيبا
– رواية عزازيل ترجمة يوسف زيدان ، ط : العاشرة – دار الشروق ٢٠٠٩م
السهروردي .
– مصنفات شيخ إشراق ص ١٨٠ وما بعدها ، ترجمة هنري كوربين – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م
السيد أحمد بن السيد زيني دحلان .
– الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ط : السعادة مصر ١٣٣٠ هـ .
السيد شريف الجرجاني .
– التعريفات – باب الجيم ص ٧١ ، ط : الحلبي ١٩٣٨ م .
الشهرستاني .
– الملل والنحل ، ت الأستاذ / عبد العزيز محمد الوكيل ، ط : الحلبي ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
الفخر الرازي .
– اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ومعه كتاب المشرق الأمين ، ت / طه عبد الرؤف سعد ، ومصطفى الهواري – مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
الكمال ابن أبي شريف .
– كتاب المسامرة بشرح المسايرة للعلامة الكمال ابن الهمام في علم الكلام ، وبهامشه حاشية للشيخ زين الدين قاسم الحنفي ، ط : الأولى ١٣١٧ هـ ، المطبعة الأميرية .
إلياس مقار .
– إيماني وقضايا المسيحية الكبرى ، ط : كنيسة المحبة ١٩٦٩ م .
أمير نصر .

- الكنيسة تواجه الهراطقة ، ط : أبناء شنودة نيس المتوحدين بمطبعة الاتحاد ٢٠٠٤ م ، مراجعة وتقديم كل من الأنبا / موسى الأسقف العام والأنبا رافائي الأسقف العام .

ايسبذورس .

- الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة ، مطبعة قاصد خير - بالفجالة - القاهرة ١٩٦٤ م .

بيمن القس بطرس الطحاوي .

- موجز تاريخ المجامع المسكونية .

جلال إبراهيم يوسف .

- دور وعلاقات الكنيسة القبطية ، ط : الأولى ص ٢٨٧ .

جورج فورد .

- القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ، ثم ترجمته إلى سيرة المسيح - كنيسة قصر الدوبارة - بالقاهرة سنة ١٩٨٣ م .

جورجي إبراهيم .

- الطبيعة اللاهوتية ليسوع - ترجمة / هاني رشدي ، ط : دار المحبة ١٩٧٢ م .

جوستاف لوبون .

- حياة الحقائق - ترجمة عادل زعيتر ط : دار القلم ١٩٦٥ .

جون كوكر .

- الفكر الشرقي القديم ص ٦٤ وما بعدها ،

جيمس هنري بريسين .

- المعضدات الدينية لدى الشعوب ص ١١٢ وما بعدها - سلسلة عالم المعرفة.

رمسيس عوض .

- محاكم التفتيش ، ط : دار الهلال ٢٠٠١ م .

سليمان دنيا .

- التفكير الفلسفي الإسلامي ص ٣١٣ - ٣١٩

الجرجاني .

- شرح المواقف .

شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية .

- كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ١٧٩ ، ط : مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .

صموئيل مشرقي .

- عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه - الكتاب السابع والأربعون ، ط : الأمانة بالقاهرة - الأولى ١٩٨٠ م .

- الإلهيات ، ط : الثانية ١٩٨٧ م الكنيسة المركزية - القاهرة .

عبد الرحمن الجزيري .

- أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلام ، ط : الأولى ، مطبعة الإرشاد - بالقاهرة ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .

- مقدمة ابن خلدون - الجزء الثالث ، ت د / على عبد الواحد وافي ، ط : مكتبة الأسرة سلسلة التراث ٢٠٠٦ م .

عبد المالك خلف التميمي .

- التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ، ط : الكويت ١٩٨٢ م .

عزيز سوريال عطية .

- تاريخ المسيحية الشرقية ، ترجمة ميخائيل اسكندر ، ط : مطبعة المحبة بالقاهرة سنة ٢٠٠٥ م .

علي جبر .

- محاضرات في علم الكلام ، ط : دار الطباعة الفنية .

غريغوريوس .

- موسوعة الأنبا غريغوريوس اللاهوت المقارن ، مطبعة شركة الطباعة المصرية بالعبور سنة ٢٠٠٣ .
لسيرغيتو كاريف .
- الأديان في تاريخ شعوب العالم ص ٩٨ وما بعدها ،
ماهر يونان عبد الله .
- الطوائف المسيحية في مصر والعالم .
محسن محمد خليل .
- الهرطقة والهراطقة في المسيحية المفهوم والدلالة ، ط : دار الفؤاد بالقاهرة ١٩٨٣ م .
محمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمداني .
- الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ت قاسم السمراني ، ط : دار الآفاق العربية – الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
محمد رشيد رضا .
- الوحي المحمدي ثبوت السنة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية في الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام ، ط : الخامسة ، دار المنار – بالقاهرة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .
محمد عبد الكريم أحمد عبد الكريم .
- منهج الفخري في دراسة الأديان والفرق ، رسالة ماجستير ، مع تحقيق مخطوطة تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان . كلية دار العلوم – بالقاهرة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .
محمد عبده .
- رسالة التوحيد ، تحقيق / محمد أبو ريه ، الطبعة الرابعة ، ط : دار المعارف بمصر ، وهي مأخوذة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ١٣١٥ هـ
مس بيشوي كامل .
- القديس كيرلس الكبير .
مصطفى رضوان هداية .
- الجنان في علم الميزان ، ط : التوفيق – بمصر ١٢٨٩ هـ .
ملاك إبراهيم يوسف .
- دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي ، ط : الكنيسة القبطية ، ط : الثانية تحت عنوان دراسات تاريخية قبطية – إبريل ٢٠٠٠ م .
منيس عبد النور .
- الله واحد في ثالوث ، ط : دار المحبة ١٩٩٥
- المجيء الثاني ص ٧٣ ، ٧٤ ، ط : كنيسة دار المحبة ١٩٦١ م .
ميخائيل جورجي .
- طبيعة المسيح ، ط : دار الجيل ١٩٨٧ م
نازلي إسماعيل حسين .
- مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ، ط : دار الكتاب العربي ١٩٦٨ م والكتاب تأليف / عمانويل كانت – ترجمة وتقديم د / نازلي إسماعيل حسين .
ول ديورانت .
- قصة الحضارة قيصر والمسيح – عصر الإيمان ، ط : مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م .
ويستنفلد .
- جدول السنين الهجرية بأيامها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها . ت / عبد المنعم ماجد عبد المحسن رمضان – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ م .
يوسع زكريا .
- القيامة الكبرى ، ط : دار رشيد ١٩٨٣ م .

فهـرس محتـــويات البحـــث

م	الموضـــــــــوع
١	المقدمة
٢	المدخل
٣	عوامل نشأة الفرق النصرانية
٤	الفصل الأول : النسطورية القديمة
٥	أولاً : إلى من تنسب النسطورية
٦	أ – اسمه ونسبه
٧	ب – مولده
٨	ج – نشأته وثقافته
٩	د – وظائفه
١٠	ثانياً : مبادئه ومعتقداته
١١	المبدأ الأول : وجود الطبيعتين المنفصلتين في يسوع المسيح
١٢	المبدأ الثاني : إنكار والدة الإله
١٣	المبدأ الثالث : تأويل الحلول والاتحاد
١٤	المبدأ الرابع : تمايز الجوهرين
١٥	المبدأ الخامس : التوسع في إطلاق لفظ الابن
١٦	المبدأ السادس : استلزام الشراكة
١٧	التأثير والتأثر
١٨	محاكمة نسطور
١٩	مجمع الإسكندرية الأول
٢٠	المجمع الثاني : مجمع روما الإقليمي
٢١	المجمع الثالث : مجمع الإسكندرية الثاني

٢٢	المجمع الرابع : مجمع أفسس
٢٣	الفصل الثاني : النسطورية الحديثة " نسطورالحكيم "
٢٤	أولاً : اسمه
٢٥	ثانياً : زمان وجوده
٢٦	ثالثاً : مكان ظهورهم
٢٧	رابعاً : أهم المبادئ والمعتقدات
٢٨	المبدأ الأول : المسيح جوهران
٢٩	المبدأ الثاني : أقنومية المسيح
٣٠	المبدأ الثالث : إنسانية يسوع التامة
٣١	المبدأ الرابع : أن مريم ولدت المسيح من جهة الناسوت
٣٢	أوجه المقارنة بين النسطورية القديمة والحديثة
٣٣	أولاً : الأشخاص
٣٤	ثانياً : النشأة والثقافة
٣٥	ثالثاً : وظائفهم
٣٦	رابعاً : المبادئ والمعتقدات
٣٧	خامساً : المبادئ العقدية
٣٨	سادساً : تسمية العذراء
٣٩	سابعاً : فكرة الاتحاد الأقنومي
٤٠	ثامناً : الانقطاع والاتصال
٤١	موقف الكنيسة من النسطورية قديماً وحديثاً
٤٢	الخاتمة
٤٣	المراجع

المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – السنة النبوية .

صحيح البخاري . للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

إبراهيم (جورجي) .

– الطبيعة اللاهوتية ليسوع ، ترجمة / هاني رشدي ، ط : دار المحبة ١٩٧٢ م .

ابن العمداني (محمد بن علي بن محمد) .

– الأنباء في تاريخ الخلفاء ، ت قاسم السمرائي ، ط : دار الآفاق العربية الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

أبي شريف (الكمال) .

– كتاب المسامرة بشرح المسايرة للعلامة الكمال ابن الهمام في علم الكلام ، وبهامشه حاشية للشيخ زين الدين قاسم الحنفي ، ط : الأولى ١٣١٧ هـ ، المطبعة الأميرية .

أسد (رستم) .

– كنيسة مدينة الله العظمى ، ط : دار الاتحاد ٢٠٠٢ م .

التميمي (عبد المالك خلف) .

– التبشير في منطقة الخليج العربي دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي ، ط : الكويت ١٩٨٢ م .

الجرجاني (السيد شريف) .

– التعريفات – ، ط : الحلبي ١٩٣٨ م . – – شرح المواقف . سيد الشريف الجرجاني ، شرح الموقف .

الجزيري (عبد الرحمن) .

– أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في

الإسلام ، ط : الأولى ، مطبعة الإرشاد – بالقاهرة ١٣٥٣ هـ – ١٩٣٤ م

الرازي (الفخر) .

– اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ومعه كتاب المشرق الأمين ، ت / طه عبد الرؤف سعد ، ومصطفى الهواري – مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

الراهب (هيبا) .

– رواية عزازيل ، ترجمة يوسف زيدان .

(السهروردي) .

– مصنفات شيخ إشراق ، ترجمة هنري كوربين – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠م

(الشهرستاني) .

– الملل والنحل . ت الأستاذ / عبد العزيز محمد الوكيل ، ط : الحلبي ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .

الطحاوي (بيمن القس بطرس) .

– موجز تاريخ المجامع المسكونية .

– تاريخ الكنيسة المفصل ، ط : دار المشرق ، نقله إلى العربية الأبوان : أنطوان الغزال ، وصبحي حموي اليسوعي .

الهندي (رحمت الله) .

– إظهار الحق ، تحقيق محمد حجازي السقا .

أنور (إبراهيم اسكندر) .

– أنا والمسيح – سنوات الخدمة الرعوية ، ط : دار القدس ١٩٨٣م .

أنور (جورج) .

– عتبات الأبدية ، ط : كنيسة قصر الدوبارة ١٩٨١ م .

(ايسبذورس) .
– الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة ، مطبعة قاصد خير – بالفجالة القاهرة ١٩٦٤م
بريسين (جيمس هنري) .
– المعضدات الدينية لدى الشعوب – سلسلة عالم المعرفة .
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) .
– مقدمة ابن خلدون ، ت د / على عبد الواحد وافي ، ط : مكتبة الأسرة سلسلة التراث ٢٠٠٦ م .
جبر (علي) .
– محاضرات في علم الكلام ، ط : دار الطباعة الفنية .
جرجي (اسكندر) .
– اللاهوت المسيحي ، ط : كنيسة المحبة ١٩٨١ م .
جورجي (ميخائيل) .
– طبيعة المسيح ، ط : دار الجيل ١٩٨٧ م
حسين (نازلي إسماعيل) .
– مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة ، ط : دار الكتاب العربي ١٩٦٨ م
خليل (محسن محمد) .
– الهرطقة والهراطقة في المسيحية المفهوم والدلالة ، ط : دار الفؤاد بالقاهرة ١٩٨٣ م
.
دحلان (السيد أحمد بن السيد زيني) .
– الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، ط : السعادة مصر ١٣٣٠ هـ.
دنيا (سليمان) .
– التفكير الفلسفي الإسلامي .
ديورانت (ول) .
– قصة الحضارة قيصر والمسيح – عصر الإيمان ، ط : مكتبة الأسرة ٢٠٠١ م

رضا (محمد رشيد) .

– الوحي المحمدي ثبوت السنة بالقرآن ودعوة شعوب المدنية في الإسلام دين الأخوة الإنسانية والسلام ، ط : الخامسة ، دار المنار – بالقاهرة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٨ م .

زكريا (يوسع) .

– القيامة الكبرى ، ط : دار رشيد ١٩٨٣ م .

عبد الله (ماهر يونان) .

– الطوائف المسيحية في مصر والعالم .

عبد النور (منيس) .

– الله واحد في ثالوث ، ط : دار المحبة ١٩٩٥ م . – المجيء الثاني ، ط : كنيسة دار المحبة ١٩٦١ م .

عطية (عزيز سوريال) .

– تاريخ المسيحية الشرقية ، ترجمة ميخائيل اسكندر ، ط : مطبعة المحبة بالقاهرة سنة ٢٠٠٥ م .

عوض (رمسيس) .

– محاكم التفتيش ، ط : دار الهلال ٢٠٠١ م .

(غريغوريوس) .

– موسوعة الأنبا غريغوريوس اللاهوت المقارن ، مطبعة شركة الطباعة المصرية بالعبور سنة ٢٠٠٣ .

غلاب (د / محمد) .

– الفلسفة الشرقية

فورد (جورج) .

– القول الصريح في سيرة يسوع المسيح ، ط : كنيسة قطر الدوبارة ، ط : دار الجيل للطباعة ١٩٨٣ م .

كاريف (لسيرغيتو) .

– الأديان في تاريخ شعوب العالم .

كامل (مس بيشوي) .

– القديس كيرلس الكبير .

كانت (عمانويل) .

– الكتاب – ترجمة وتقديم د / نازلي إسماعيل حسين .

كوكر (جون) .

– الفكر الشرقي القديم .

لوبون (جوستاف) .

– حياة الحقائق ، ترجمة عادل زعيتر ط : دار القلم ١٩٦٥ .

مشرفي (صموئيل) .

– عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه ، الكتاب السابع والأربعون ، ط : الأمانة بالقاهرة – الأولى ١٩٨٠ م .

– الإلهيات ، ط : الثانية ١٩٨٧ م الكنيسة المركزية – القاهرة .

مقار (إلياس) .

– إيماني وقضايا المسيحية الكبرى ، ط : كنيسة المحبة ١٩٦٩ م .

نصر (أمير) .

– الكنيسة تواجه الهراطقة ، ط : أبناء شنودة نيس المتوحدين بمطبعة الاتحاد ٢٠٠٤ م ، مراجعة وتقديم كل من الأنبا / موسى الأسقف العام والأنبا رافائي الأسقف العام .

هداية (مصطفى رضوان) .

– الجنان في علم الميزان ، ط : التوفيق – بمصر ١٢٨٩ هـ .

(ويستنفلد) .

– جدول السنين الهجرية بأيامها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها ، ت / عبد المنعم ماجد عبد المحسن رمضان – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ م.

يوسف (ملاك إبراهيم) .

– دور وعلاقات الكنيسة القبطية خلال العصر القبطي الجزء الأول ، ط : الكنيسة القبطية ، ط : الثانية تحت عنوان دراسات تاريخية قبطية – إبريل ٢٠٠٠ م .

ابن الأثير .

– الكامل في التاريخ .

ابن القيم .

– إغاثة اللهفان .

ابن تيمية (الإمام / أحمد بن عبد الحليم) .

– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، قدم له / علي السيد صبح المدني ، ط : المدني بجدة .

ابن حزم (علي بن أحمد سعيد) .

– الفصل ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني – مكتبة السلام العالمية – بالقاهرة

عبده (الإمام محمد) .

– رسالة التوحيد ، تحقيق / محمد أبو ريه ، الطبعة الرابعة ، ط : دار المعارف بمصر ، وهي مأخوذة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ١٣١٥ هـ .

العقاد (أحمد سعد) .

– الأنوار القدسية في شرح أسماء الله الحسنى وأسرارها الخفية ، تقديم د / عبد الحليم محمود ، ط : الشعب .

الغزالي (الإمام أبو حامد محمد)

– المعتقد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى ، تحقيق الشيخ / محمد مصطفى أبو العلا ، ط : مكتبة الجندي – بالقاهرة ١٩٦٨ م .

– رسائل القديس كيرلس ، ط : مركز دراسات الآباء .

– منهج الفخري في دراسة الأديان والفرق ، مع تحقيق مخطوطة تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الأديان . رسالة ماجستير إعداد / محمد عبد الكريم أحمد عبد الكريم – كلية

دار العلوم – بالقاهرة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م .

– التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، ترجمة شركة ماستر ميديا – بالقاهرة – بدون تاريخ .

رواية عزازيل ترجمة يوسف زيدان ، ط : العاشرة – دار الشروق ٢٠٠٩ م .

قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٩ دار مكتبة العائلة ، ط : الرابعة عشرة سنة ٢٠٠٠م ،

الكتاب المقدس " العهد الجديد " . ط : دار الكتاب المقدس – بالقاهرة .

سيرة المسيح . كنيسة قصر الدوبارة ، ط : أولى ١٩٨٣ م .

كورنثوس الأولى . الإصحاح الثاني عشر .

معجم اللاهوت الكتابي . ط : دار المشرق – الثالثة ١٩٩١ م .

المعجم الوجيز . ط : التربية والتعليم ٢٠٠٦ م .

المنجد في اللغة والأعلام . ط : دار الشروق – بيروت – لبنان .